

التحجير في التذكير

نفاثس في القيم والسلوك مستوحاه من أسماء الله الحسنى

تأليف

الإمام زين الإسلام عبد الكريم القشيري

(٣٧٦ هـ - ٤٦٥ هـ)

حققه وقدم له وعلق عليه

الدكتور إبراهيم بسيونى

استاذ الفكر الاسلامى - جامعة عين شمس

مكتبة عالم الفكر
مركز سينما الحسين - القاهرة
(٥ ٩٣٦٦٠٩ ٤٠٢٠٤)



أربع
عشر


٢

٢

٣٦

١٧٥





المركز الرئيسي ميدان سيدنا الحسين - الأنهر الشريف
هاتف : ٩٣٦٦٠٩ - ٥٨٩٧٦٧١
برقنا : ماسكتا فكر - صوب الغورية ١١٦٣٩ رقم ٥٦

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

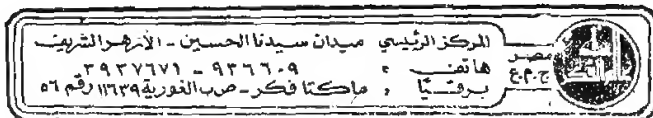
التحجير في التذكير

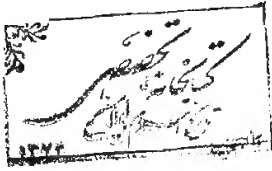
نفاذ في التيم والسكون مستوحاة من أسماء الله الحسنى



رقم الايداع بدار الكتب ٧٤٥٨/١٩٩٣

* الترتيم الدولي 2-028-254-977 I. S. B. N.





بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

أهمية هذا الكتاب للفيلسوف اليوناني العظيم عبارة تقول :

• إن كل علم يستمد قيمته من موضوعه

وموضوع الأسماء والصفات الإلهية — الذي هو مدار هذا الكتاب

• أجل الموضوعات وأهمها

ولقد عولج هذا الجانب في كتب التراث الإسلامي في مضامين

التفسير ، وفي دائرة علم الكلام ، ونحو ذلك •

ولكنه عند النظرة المدققة لم يخرج عن الإطار النظري ••

أما هنا فالفقشيري يخرج به من دائرة النظر إلى دائرة العمل ،
بمعنى أنه لو قدم إليك الاسم أو الصفة التي تتعلق بالذات الإلهية فإنه
في تخطيط منهجي رائع يدخل بك إلى دائرة التطبيق العملي ، كأنه يقول
لك : والآن وبعد أن (علمت) المعاني العظمى التي يحتويها الاسم
أو الصفة عليك أن (تعمل) على الانصاف بكذا وكذا ، وأن (تقوم)
بكذا وكذا •

وهذا المنهج في الواقع هو الأصل الإسلامي للمعرفة ، فالإسلام
لا يخاطب العقل وحده وإنما يخاطب السلوك والتخلق •• وبهذا ينماز
الإسلام عن الفلسفات المألوفة التي لا تكاد تخرج في معظمها عن الجانب
النبحي الجدلي النظري •• وهي مسائل لا شك في أنها ذات قيمة غير
منكورة ، ولكن الإسلام يطمح إلى ما هو أبعد من ذلك ، ولعل أصدق

ما نوره في هذا السياق قول السيدة عائشة وهي تصف الرسول المصطفى صلوات الله عليه وسلامه « كان خلقه القرآن » أى أن (الكتاب) قد أصبح (سلوكاً) عنده صلوات الله عليه وسلامه •

وإذا فالتقشيري حينما يؤسس منهجه الذى سنشرحه بالتفصيل في هذه الجزئية الدينية الخاصة على أساس العلم ثم العمل إنما يصدر عن الروح المميزة للدين الإسلامى •

والقد وقع للإمام أبى حامد الغزالى بعد ذلك بنحو نصف قرن أن قرأ هذا الكتاب فأعجبه الموضوع والمنهج ، وعزم على أن يؤلف في هذا الموضوع كتابه الجميل « المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى » والقارىء لهذا الكتاب الأخير يرى الغزالى قد التزم منهج التقشيري التزاماً جاداً • ونورد لك هنا نصاً نقتطفه من الغزالى وهو يوضح علو قدر هذه الدراسة وخطورتها ، وكيف أنها ليست بالمهمة السهلة التى يمكن أن يخب فيها أى شخص ، بل هى مهمة ثقيلة تحتاج إلى نفاذ البصيرة والإخلاص ، والحذر الشديد ... أليست كما يقول محاولة إفصاح عن أسرار مرتبطة بالحق سبحانه ؟ ! إنها « ركوب لمتن الخطر » !

يقول الغزالى سألتنى أخ فى الله تتعين فى الدين إجابته شرح معانى أسماء الله الحسنى ، وتواردت على أسئلته تترى ، فلم أزل أقدم فيه رجلاً وأؤخر فيه أخرى تردداً بين الانقياد لاقتضائه قضاء لحق إخائه ، وبين الاستغناء عن التماسه ، آخذاً سبيل الحذر ، وعدولاً (عن ركوب متن الخطر) ، واستقصاراً لقوة البشر عن درك هذا الوطر ••

ويستمر الغزالى قائلاً : « كيف لا •• ولللبصير عن خوض مثل هذه الغمرة صارفان : أحدهما أن هذا الأمر فى نفسه عزيز المرام ، صعب المنال غامض المدرك ، فإنه فى العلو من الذروة العليا ، والمقصد الأقصى الذى تتحير الأبواب فيه ، وتخفض أبصار العقول دون مباديه فضلاً عن أقاليمه •• ومن أين للقوى البشرية أن تسلك فى صفات الربوبية سبيل البحث والفحص والتفتيش ، وأنى تطيق نور الشمس أبصار الخفافيش •

والثانى أن الإفصاح عن كنه الحق فيه يكاد يخالف ما سبق إليه الجماهير،
وفطام الخلق عن العادات ومألوفات المذاهب عسير ، وجناب الحق يجلب
عن أن يكون مشرعاً لكل واد ، أو يتطلع إليه واحد بعد واحد «
١ هـ كلام الإمام الغزالي •

فإذا كان ذلك هو إحساس الغزالي فما بالك بالرائد القشيري وهو
يسلك هذا السبيل لأول مرة ، فنحن نشعر نحوه بالإحترام الفائق ،
ونسعد بأن نقدم للقارئ هذا العمل ونفتح أمامه الآفاق بأن يزداد
معرفة به إذا ضم المحاولة الغزالية إلى المحاولة القشيرية • فالموضوع
خليق بكل الإهتمام •

ولقد أسعدنى — بهذه المناسبة — أننى طوّال أكثر من عشرين عاماً
منذ قدمت التعبير للمرة الأولى أتابع البرامج الإذاعية والتلفزيونية
والصحفية التى اتخذت من « نور الأسماء الحسنى » موضوعاً لها ،
وكيف أنها استفادت من هذه النصائح التى قدمتها حين الاغتراف من هذا
المنهل الفياض ، فكنت أشعر بسعادة الجندى المجهول وأنا أشاهد
أو أقرأ أو أسمع ، وتغاضيت كثيراً جداً عن عدم التنويه بالمصادر
وأصحابها •• فالمهم أن تنتشر المعرفة بين الناس وعند الله — سبحانه —
الجزء الأوفى •••

ولما كان القشيري قد أقبل على هذه المسألة العظيمة بفكر المتكلم
وذوق الصوفى وثقافة اللغوى فإننا نشعر ونحن نقدم هذا الكتاب بضرورة
التصدى للصلة بينه وبين علم الكلام بادئ ذى بدء •

شغلت قضية الأسماء الإلهية حيزاً ضخماً من علم الكلام بل لا نبالغ
إذا قلنا إن علم الكلام كله مدين لصفة واحدة من صفات الله وهى
« الكلام » ، ونعنى بها هل القرآن الكريم — وهو كلام الله سبحانه —
قديم حيث إن الله قديم أم أنه — أى القرآن — مخلوق على أساس أنه
نزل فى زمن معين على رجل معين فى مكان معين !!

قد تبدو القضية للقارىء العادى هينة لينة ، ما هو لا يعلم مقدار ما اشتجر من الخلاف بين أسلافنا ، وبخاصة بين الأشاعرة والمعتزلة ، ولا يدري كم من الفتن ثارت ، وكم من المحن ألم ببعض عظمائهم أمثال أحمد بن حنبل رضى الله عنه ..

صح إذاً أن نثير الموضوع باختصار غيرمخل كما تصوورها المتكلمون ، وفى هذا فضلاً عن ضرورته المنهجية توطئة لفهم القشيري .. صاحب هذا الكتاب •

يقف المعتزلة من قضية الصفات الإلهية موقفاً جريئاً صريحاً ، فهم ينفون الصفات منعاً للتعديد من ناحية وللتفكيك (أى الصفة والموصوف) ولذلك يسمون أنفسهم أهل التوحيد ، فالله (وحده) هو الموصوف وهو الصفة وهكذا قامت الذات الإلهية منذ الأزل ، فلا مدعاة (للإضافة) أى إضافة ... من جانب الإنسان — الله ، فقد قامت الذات هكذا ولم يكن فى الأزل واصف ... إلى آخر آرائهم التى عادت تتباين إلى حد ما بين زعماء فرقته ، ولا نريد أن نثقل على القارىء هنا .. فالوضع مبسوط فى المطولات المتخصصة لمن يريد الاستزادة •

أما الأشاعرة — والقشيري منهم والغزالي أيضاً — فإنهم يثبتون الصفات ، ويلتمسون لكل صفة معنى خاصاً بها حتى يثبتوا أن هناك جدوى من كل وصف •

وفى ذاك يقول القشيري فى هذا الكتاب عند « السميع والبصير » : سمعه وبصره — سبحانه — صفتان له ، زائدتان على (علمه) خلافاً للقدرية ، وهما إدراكان آخران له ، فلا يخرج مسموع عن سمعه ، ولا موجود عن بصره ، ولا يحجبهما شئ ، فيسمع السر والنجوى ، ويبصر ما تحت الثرى ويرى فى لطائفه أن « القرآن يتحدث عن الله سبحانه مرة بذاته : « ويحذركم الله نفسه » ومرة بصفاته « ألم يعلم بأن الله يرى » •

هى إذا قضية كلامية ، ويكون للقشيري بتجبيره فضل السبق فى نقلها من محيط المتكلمين إلى محيط الصوفية ، وصبغها بصبغة هذا المحيط الجديد .

ومن هنا تأتى أهمية هذا الكتاب إذ يوضح موقف الصوفية من قضية تناولها غيرهم ، وعندئذ تصلح المقارنة بين منهجى تناول ، وهى فرصة ثمينة أمام الصوفى كى يقدم رؤيته لغير ذلك من جزئيات الفكر الدينى •• وهى بلا شك رؤية متميزة وليست مباينة لأن الأصل واحد ، فالشريعة والحقيقة وجهان لموضوع واحد ، وهى رؤية تشرى الباحث الدينية بما تضيفه من روحانيات خالصة ومذاقات شفيفة .

وقد شعر الغزالى بالتهيب كما أوضح النص السابق وهو يقوم بعملية النقل من ذلك المحيط إلى هذا المحيط ، وقد أتاحت أسبقية القشيري له فى هذا الخصوص حين قدم هذا الكتاب أن يخف عنه العبء ، وتتحدد الرؤية ويتضح « المقصد » .

وقد ثبت لنا بما يدع مجالا للشك أن هذه الاستفادة قد تحققت فعلا ، وآية ذلك أن أبا حامد قد سار على نفس النهج ونفس المنهج ، وسلك نفس الترتيب فى استخلاص نتائجه عند كل اسم وكل صفة .

وهو مثله استخدم ذات الأدوات لأدوات : اللغة والاستقاق ، والكلام ، والحديث ، وأسانيد الشيوخ .

وهو مثله — وهذا هو المهم فى الكتابين — قد استبطن من المعارف المحصلة آداباً وفصائل مطلوب من المرء بعد أن (يعلم) أن (يتخلق) بها .

ولكننا مع ذلك نعترف بأن للغزالى فضل التفوق فى التفصيلات والتفريعات ، وهذه مسألة متوقعة فإن كتاب القشيري غير مسبوق •• والأعمال الرائدة ليس فى مقدورها الإحاطة التامة بكل شئ .

ويبقى بعد ذلك أن هذه الجهود الصوفية تظل معبرة عن وجهة نظرهم في مقابلة الجهود الفلسفية والكلامية وغيرها خصوصاً في موضوع من أخطر قضايا الفكر الدينى .

ويقتضينا الانصاف ألا يجرفنا الحماس إلى كل ما يصدر عن الصوفية في هذا المجال ، ولنضرب على ذلك مثالا واحداً حتى يعرف القارئ موضوع أقدامه من الوهلة الأولى .

ونعنى به مذهب عبد الكريم الجبلى أحد تلامذة ابن عربى ، وأحد القائلين بوحدة الوجود ، وقد انعكس تأثره بهذه النظرية على تصوره للموضوع الذى نحن بصددده ، فانجرف الجبلى إلى أودية بعيدة ، وإلى نتائج على جانب شديد الخطورة مثل إرجاعه تعدد الأديان والمعتقدات إلى تعدد الصفات الإلهية ، وإلى « الأسماء التى تجلى بها الحق فى مظاهر الخلق ، فقد تجلى الحق باسم الهادى لقوم فهذا هم ، وبالمضل لقوم فأضلهم ولو بقى اسم من الأسماء أو صفة من الصفات معطلا لم يتحقق معناه فى صورة من صور الوجود ، ولكن تجلى الحق كامل ، ولهذا أرسل الله الرسل الذين يطيعونه فى صورة الهادى ويعبده الذين يعصونه فى صورة الاسم (المضل) ، ولكنه سبحانه عين كل معبود يعبد » .

* سار القشيري فى دراسة الأسماء الحسنى حسب الترتيب الذى ورد فى الحديث الشريف المروى عن أبى هريرة إذ قال : [قال رسول الله ﷺ : إن الله تسعة وتسعين اسماً ، مائة إلا واحداً إنه وتر يحب الوتر من أحصاها دخل الجنة : هو الله الذى لا إله إلا هو الرحمن الرحيم الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر الخالق البارئ المصور . الغفار القهار الوهاب الرازق الفتاح العليم . الباسط الخافض الرافع المعز المذل السميع البصير الحكيم العدل اللطيف الخبير الحليم العظيم الغفور الشكور . العلى الكبير الحفيظ .

المقيت الحسيب • الجليل الكريم • الرقيب المجيب الواسع الحكيم الودود
المجيد الباعث الشهيد الحق الوكيل القوي المتين الولي الحميد المحصي
المبدئ المعيد المحيي المميت الحي القيوم • الواجد الماجد الواحد
الأحد الصمد القادر المقدم المؤخر الأول الآخر الظاهر الوالي
المتعالى البر التواب المنتقم العفو الرؤوف مالك الملك ذو الجلال والإكرام
المقسط الجامع الغنى المغنى المانع الضار النافع النور الهادى البديع
الباقى الوارث الرشيد الصبور] •

وقد حرصنا على إثبات الحديث الشريف هنا حيث لم يذكره المؤلف
في صدر كتابه •

أما الخطة في تأليف الكتاب فإنها تتلخص في مراحل أساسية تجرى
بصفة إجمالية على النحو التالى :

يبدأ بحث أى اسم أو صفة بمقدمة لغوية مختصرة يناقش فيها
أصل الكلمة واشتقاقاتها ، ومعنى كل اشتقاق محتمل • ولا ينسى أن
ينوه بما يطرأ على المعنى الأصلي للفظ وهو ينتقل من الاستعمال الأدنى
إلى معان دلالية عبر الاستعمال الحياتى له وهذا تىء يعرفه علماء
اللغة في باب التوسع المجازى ، لأن الأصول المادية للكلمات مثل (برك)
الجمال تتجاوز أثناء استعمال الناس لها عبر العصور إلى معنويات أرقى
ثم أرقى حتى تصل في النهاية — إن كانت هناك نهاية — إلى أن تستخدم
في (تبارك) الله سبحانه أحسن الخالقين ، وغير خاف ما بين (برك)
الجمال وارتباط ذلك بنزول الخيرات وانشغال النعم وبين المعنى الراقى
الذى وصلت إليه • وفي هذا السياق لا يحرمننا القشيري عند كل دلالة
حديثة أو متجددة من استفادات في توظيف الدلالة في توجه السلوك
المطلوب من الإنسان — فهذا هو هدف من الأهداف البعيدة لتصنيفه —
كما ذكرنا من قبل •

ويكون محصل الجهد اللغوى أخيرا رصيد هائل من الأخلاقيات
المرتبطة بالأسماء والصفات الإلهية ويبدأ ذلك عادة بقوله :

(.....) ومن آداب من عرف هذا الاسم بهذا المعنى أن يفعل كذا وكذا ، وألا يفعل كذا وكذا) •

نعم •• ذلكم هو الغرض الأصلي من الكتاب كله ، علم يعقبيه عمل ، ومعرفة ينجم عنها سلوك •• وهنا يبرز دور القشيري الصوفي بعد دور القشيري اللغوي ، فالأصل عن الصوفية أن العمل الإنساني (بمقاماته وأحواله) إذا تم على الوجه المطلوب وقيض الله سبحانه له من الفضل والمنة أن يكون العبد على الطريق الصحيح في المنهج العرفاني •

وكان القشيري بهذا الصنيع أراد أن يثبت أن المعتزلة حينما ذهبوا إلى نفي الصفات — كما أوضحنا ذلك في عجالة — قد حرموا الإنسان من مزايا معرفية وسلوكية جديرة بأن تحترم في كنف هذا الموضوع الخطير الجليل « مبحث الأسماء والصفات الإلهية » فهو لم يخرج به من الحيز الجدلي النظري فقط بل آلى على نفسه أن يثبت لكل ذي عين وذى قلب أن مبحث الأسماء والصفات أشبه بالينبوع الصافي الذي لا ينفد معينه، وأن كل قطرة في تلاحقه تتماسك مع قطرات تتقدم وقطرات تتلو ، في نسيج متناغم أخاذ ، فما للعبد من جهود في المعرفة تتلوها نعم من صاحب الجولة سبحانه •

وتتألق كل خطوة في الاستنباط بأسانيد متتالية لشيخ الطريقة وأئمة الحقيقة • وعادة ما تبدأ الخطوة بتعبير « فإن قيل » أي ويمكن القول • وهو يضيف إلى ذلك كثيراً من الآراء الكلامية وبعض الآراء الفقهية • ويأتي في مقدمة ذلك كله بطبيعة الحال استشهاده بالآيات القرآنية الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة •

وبهذا يصبح الكتاب نموذجاً جيداً لإعطاء فكرة صادقة عن هذا الشيخ الجليل رضوان الله عليه ، وآفاق ثقافته •

ونشعر بأهمية التوقف عند مرحلة دقيقة من مراحل هذه الدراسة هي اهتمامه بإبراز التفرقة بين هذه المصطلحات حتى ننير للقارئ طريقه :

(أ) اسم الذات :

وهو اسم (الله) « اسم لم يتسم ولن يتسمى به أحد سواه سبحانه فهو له وحده ، ومعه « الرحمن » « قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن » .

(ب) صفة الذات :

وهي الصفة التي قامت بها الذات النورانية منذ الأزل ، سواء وجدت المخلوقات أم لم توجد ، فليس فيها ما يشعر بغير الذات .

مثل صفة (الباقي) فليس فيها شعور بالغير أو السوى إنها (صفة البقاء ، صفة من صفات الذات ، ويجب أن تشتد العناية بمعرفة أن المخلوق لا يجوز أن يكون يتصف بصفات ذات الحق ، فلا يكون عالماً بعلم الحق ، ولا قادراً بقدرته ، ولا سميعاً بصيراً بسمعه وبصره ، ولا حياً بحياته ، ولا باقياً ببقائه لأن الصفة القديمة لا يجوز قيامها بالذات الحادثة كما لا يجوز قيام الصفة الحديثة بالذات القديمة .. وهذا هو أصل التوحيد) .

(ج) صفة الفعل :

وهي الصفة التي تتجلى وتعمل في المخلوقات « كالوهاب » « والرزاق » والمحیی والممیت .. فهي مرتبطة بمن يوهب وبمن يرزق وبمن يحيا وبمن يموت بقدرته القادرة الفاعلة المؤثرة المنتشرة في كل خبايا الكون جباله وسهوله وبحاره وشموسه وكواكبه ، في النبات والحيوان والإنسان .. هذا الكون كله مرتبط (بأفعاله) الإلهية فيه منذ خلقه إلى فنائه إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

فيقول مثلاً عند (الوهاب) : « الوهاب المعطى والوهاب مبالغة منه وهو من صفات الفعل » .

ولكن القشيري هنا يفتح باباً صغيراً ليدخل بنا إلى إضافة هامة هي أن الوصف الواحد من هذا القبيل الأخيرة يمكن أن ينصرف إلى

الذات الإلهية فيكون لذلك ما يتناسب مع معانى (المطلق) ، ثم يمكن أن يستخدم تارة أخرى لكى يوصف به المخلوق وهنا يستوجب المعانى الملائمة للمخلوق (النسبى) وبكلمات أخرى يمكن أن يعود وصف الفعل إلى وصف الذات إذ أريد فهم اتصاف المولى به خذ مثلاً موقفه عند « الجبار » : وصف الجبار إذا كان مأخوذاً من نخلة جبارة أى لا تتأله الأيدي فمعناه فى حقه أنه لا تتأله يد جائرة ، ولا ينازعه معارض ، فيكون من صفات ذاته لأنه إخبار عن وجوده على وصف السؤدد والجلال . وقيل : الجبار المتكبر من حيث المعنى ، فالجبروت التكبر ، يقال جبار من الجبرية والجبروت ، إلا إن التكبر فى وصفه عز وجل محمود ، وفى وصف الخلق مذموم ، وهو بهذا المعنى من صفات ذاته أيضاً .

وقيل الجبار بمعنى المجير وهو المكره يقال جبرته على الأمر وأجبرته بمعنى واحد ، وإن كان أجبرته فى معنى الإكراه أكثر وأشهر استعمالاً من جبرته ، فمعناه فى حقه أنه لا يوجد من خلقه إلا ما يريد شاءوا أو أبوا فيكون من صفات الفعل .

وقيل الجبار بمعنى المصلح من قولهم جبرت الكسر إذا أصلحته وعلى هذا يكون من صفات الفعل أيضاً ، والاسم إذا احتمل معانى مما يصح فى وصفه سبحانه فمن دعاه بذلك الاسم فقد أثنى عليه بجميع تلك المعانى .

وخذ مثلاً موقفه عند الملك « ورد فى القرآن العزيز الملك ومالك الملك ، ومالك يوم الدين والمليك وهو مبالغة من الملك كالعليم من العالم ، الملك مشتق من الملك وأصل الملك فى اللغة الشد والربط ومنه قولهم ملك العجين إذا بالغت فى عجنه ، ومنه سمي عقد المصاهرة إملاكاً لأنه تربط به الوصلة بين الزوجين . وحقيقة الملك عند أهل التحقيق القدرة على الإبداع والإنشاء ، فلا مالك — فى الحقيقة — إلا الله ، وهو فى غيره مجاز ، فإذا ثبت لزوم العبد أن يتبرأ من الإضافة إلى نفسه ،

فلا يقال بى ولا لى ولا منى ، ولهذا قيل : التوحيد إسقاط الیاءات
یعنى یاءات الإضافة إلى نفسه » •

ويتصل بالمباحث اللغوية الموظفة فى هذا الكتاب جانب آخر یهم
أن نوضحه هو أنه یلتمس فروقاً دقيقة بین الأوصاف الإلهية التى تبدو
مترادفة للوهلة الأولى ولكنه یحسن التفرقة الدقيقة بین كل لفظة وقريبتها
المتقاربة حتى یوجه سهماً جديداً من كنانته نحو (المعتزلة) كأنه یقول
لهم وحتى هذه المتقاربات لها عندنا توجيهات ذات جدوى ، وهو هنا
بارع فى اللغة من ناحية ، وأشعرى مخلص من ناحية أخرى •• وهو
قبل ذلك كله صوفى ذائق یملك عدسة كاشفة تتلقى اللغة بصورة رهيبة
شفیفة •

فهو مثلاً یميز بین « المعطى » و « الوهاب » و بین « العفو »
و « الغفور » ، و بین « الحسیب » و « الكافى » •• ونحو ذلك مما نتركه
لمعانة القارى ومتمتعته المذهنية والتذوقية •

بقى أن نتحدث عن الكتاب من حیث هو ذخيرة من ذخائر الصوفية ،
فإنك لو سألت الشیخ عن مقاصده البعيدة لأجابك سكما نتصور — إننى
أكتب لأهل الذكر حتى تصبح الأسماء والصفات ذات آفاق لا تتناهى
عند المتأملین ، السائحين ، الهائمين •• بحيث لا یكون هناك حیز من هذه
الأسماء وتلك الصفات كى ینطلقوا فى رحباتها اللانهائية •

نعم •• إن لهذا الكتاب قيمة عظيمة فى الرياضة الصوفية ، بحيث
لو بدأ العبد بترديد الاسم بلسانه •• وذلك هو ذكر اللسان فإنه ینبغى
أن یسمح لذكر القلب بالبده لأن قيمة ذكر اللسان لا تكاد تفى بالمطلوب ،
أما ذكر القلب المنبنى على التأمل والتذوق والاستشفاف فهو الذى یحفل
بالمعانى السامية • ثم هو الحافز على ما یتوجب على هذا الذاكر من
التخلی عن سلوك والتخلی بسلوك آخر ، وهذا هو رصید الآداب
والفضائل المندرج تحت هذه الأسماء والصفات أشبه بمنجم مملوء
بالنفائس یقدمه الشیخ رضوان الله علیه للذاكرین •

وبهذا الفهم نستطيع أن ندرك مغزى قول الشيخ نقلا عن الأئمة
« أخف أنواع الذكر ذكر اللسان ••

ذكرتك لا أنى نسيته لحظة

وأيسر معانى الذكر ذكر لسانى »

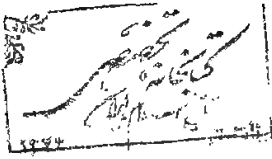
ونستدرك هنا أننا حينما نحصى الصوفية بشيء من الاهتمام
أننا نستبعد طوائف العابدين من الحساب ، فإن المعانى التى يقدمها
القشيري صالحة لكل من له وجدان دينى صوفياً كان أو غير صوفى ،
وهذه خصيصة قل أن نلاحظها عند كثير من كتاب التصوف •

خذ مثلاً قوله عند صفة « الغفار » وهو يدخل بنا إلى مقام التوبة
وكيف يتسع فضل الله لكل تائب « ••• عبدى لو أتيتنى بتراب الأرض
ذنوباً أتيتك بتراب الأرض مغفرة ما لم تشرك بى • وفى خبر مسند أن
رجلاً يؤمر به إلى النار فإذا بلغ ثلث الطريق ••••• أنظر النص فى
الكتاب •

ونلاحظ أن المؤلف قد منح عناية خاصة للأسماء الإلهية التى لها
موجبات خاصة فى البيئة الصوفية مثل :

الحق — الولى — المحيى — البديع — الجميل — الجليل ونحوها
ونستطيع أن نضم أقوالهما فى كنفها إلى آرائه فى مصنفاته الصوفية
الخالصة عند حديثه عن الولاية والحياة والموت والبدعة والجمال
والجلال •• وبذا يتحصل لدينا رصيد متكامل إذا قمنا بدراسة تحليلية
لآرائه فى تلك الموضوعات •

فمما يقوله عند « الحق » : « ••• » وأكثر ما يجرى على لسان
هذه الطائفة من أسمائه سبحانه وتعالى « الحق » لأنهم ارتقوا من شهود
الأفعال إلى شهود الصفات ثم من شهود الصفات إلى شهود الذات ،
ومن آداب من عرف أنه الحق أى ذو الحق أثر حقه على حقه ،
وعلمة صدقه فى ذلك الإيثار أن يسخر له خلقه المبين فى وصفه وهو الذى



يوضحه الحق بقلبه فيميزه عن الباطل بالحجج والبراهين ، ويبين له من
مكونات العدم ما سم يصير بابل احد من دفاق آثار الحكمة وعجائب
متملقات السندرة ، ويبين أدوب الواجدین على الخصوص شهود الربوبية
به: يزيل الشبهة •

وتستطيع من هذا أن تدرك أى فرق هائل بين الصدى الذى تتركه
لمنظار الحق (على وجدان هذا الصوفى السنى الحريص وبين الصدى
الذى يتردد فى جنبات وأد آخر من أوديته التصوف الإسلامى وأعنى
عند أرباب وحدة الوجود كابن عربى وتلاميذه ، أولئك الذين يفهمون أن
(الحق) تعنى أنه لا موجود على الحقيقة إلا الله ، وأن الوجود كوصف
لغيره باطل ، فالله هو كل شيء ، والموجودات لا حقيقة لوجودها ، بمعنى
أن المتكبر السبى إذا وصف بالوجود فذلك على سبيل المجاز لا على
سبيل الحقيقة •

ويمضى أهل وحدة الوجود فى نظريتهم إلى البحث فى تجلى الله
فى الموجودات الأرضية والسماوية ، وبهذا يكون تمام كماله وجلاله
وجلاله • أما ما نشهده فى العالم من نقص وزوال فذلك لا يثر فى العظمة
الإلهية إن شاء الله من قبيل أحكام التعيين والتنزل والإنزال (انظر معجم
Larousse مادة Pantheisme وانظر أيضا كتاب (الوحدة
الجزئية) لبهاء الدين العاملى أحد تلاميذ ابن عربى) •

وفى ذلك يقول ابن عربى « الظاهرون بأمر الله لا يرون سوى الله
فى الأكوان ، والأكوان عندهم مظاهر الحق » الفتوحات ج ٢ ص ١٥ •
وعند « الولى » يقول القشيري : « الولى فى وصفه سبحانه هو
المتولى لأحوال العباد وأعمالهم •

وهو فعيل بمعنى فاعل ، يقال فلان ولى فلان يليه ولاية فهو وال
أى نصير ، وإنما سمى أولياء الله لأنهم أنصار دينه وأشياع طاعته •
وقد يكون الولى فى وصف العبد بمعنى المواظب على الطاعة ، وتكون

الولاية بمعنى المحبة ، والله ولى المؤمنين أى محبهم » •

ويتضمن هذا الرأى اتجاهاً هاماً نحو تحديد معنى الولاية ، فهو يربط بين الولاية والطاعة إذا وصف بها صفوة القوم ، ومعنى ذلك أن هذا اللقب لا يمنح جزافاً ، وبذلك يخرج من نطاقها الأدعياء الجهلاء الذين يذهبون إلى اقتراف أعمال خارجة عن مألوف الناس ، بل فى بعض الأحيان يتنكرون للشرعية وما توجبه على المرء من فروض بدعوى أنهم محو ، وأنه ليس عليهم عتب ولا لوم (انظر افتتاحية الرسالة القشيرية) وهؤلاء يصيبون الطريقة وأهلها بسهام قاتلة لأن أحكام التعميم من جانب أعداء الصوفية تنهال ظالمة على كل التصوف اهله — كما وقع فى ذلك كثيرون عبر العصور •

كذلك يتضمن هذا الرأى نزعة نحو التفاؤل بالنسبة للعصاة ، فالشيخ على هذا يفتح باب الأمل أمام التائبين ، ويحفزهم لأن الله سبحانه فى انتظارهم ، يتقبلهم بعظيم فضله (ويتولاهم) بغفرانه •

وتتصاعد هذه النزعة المتفائلة مرات أخرى فى هذا الكتاب عند الصفات التى ترهب العبد مثل (المنتقم) و (الجبار) و (الضار) و (المانع) و (المميت) فتأخذ هذه الأوصاف عند الشيخ طريقاً مفروضاً بالأمل زائراً بالإحسان ملبياً للرجاء ، وعلى هذا يمكن القول أن الصوفية يمنحون الأوساط الدينية فرصة الإسعاد والانتعاش بما يفسحون به المجال لإقالة العثرات واستئناف المسير •

استمع مثلاً إلى قوله عند (المنتقم) : « الانتقام افتعال من النعمة وهى غاية الكراهية للشيء وغاية العقوبة عليه أيضاً ، والله تعالى يغضب فى حق خلقه بما لا يغضب فى حق نفسه ، فينتقم لعباده بما لا ينتقم لنفسه فى خاص حقه » • ثم استمع فى هدوء إلى الشيخ وهو يصرح : « وقد يستجير العبد بربه عقيب زلة فتدركه الوجهة قبل حلول الانتقام ، فيؤويه إلى كنف ستره ، ويعجل له المغفرة بلطيف بره » •

و « الجبار » عنده هو الذى يجبر الكسر أى زلة العبد .

و « المميت » يقابل « المحيى » ولكن أساس المقابلة عند الشيخ أن (أهل هذه الطائفة أطنقوا لفظى الإحياء والإماتة على حالتى الفرحة والفرحة والمنحة والمحنة تجوزاً وتوسعاً كما يقال فلان أحيا فلاناً بجوده ، وأمات فلاناً بصدده عنه . لهذا قال أهل الحقيقة : من أقبل مع الحق أحياء ، ومن أعرض عنه أماته وأفناه . ومن كان فناؤه فى الله فهو حى وإن هلك ، ومن كانت حياته فى المخالفة فهو ميت — وإن عاش) .

وكان شرح « البديع » فرصة طيبة انتهزها المؤلف لينادى بما عرف عنه من مقاومة شديدة وعداء صارخ للبدعة والمبتدعين : (البديع معناه المبدع ، وكل من فعل فعلاً لم يسبق إليه فهو مبدع ، ومنه سميت البدعة ، لأنها قول أو فعل غير مسبوق فالله تعالى . . مبدع الأشياء لا على مثال تقدم ، ولا من أحد تعلم . . ومن آداب من عرف ربه بهذا الاسم أن يجتنب البدعة ويلزم السنة فالبدعة كل ما ليس له أصل فى الكتاب والسنة وإجماع الأمة) .

ويساعد كتاب « التحبير فى التذكير » بطريق مباشر على تفسير بعض قضايا التصوف وإشكالات التعبير الذى قد يبدو غريباً منبهاً فى فى أحيان أخرى . ونضرب لذلك مثلين فقط أحدهما للحلاج والآخر للشبلى .

فأما قولة الحلاج الشهيرة « أنا الحق » فيمكن فى نظرنا فهمنا واغتنافنا لها إذا استفدنا من موقف القشيري فى شرح أسماء الله الحسنى وصفاته ، فالحلاج لم يقل (أنا الله) — ونحن قد أبنا أن (الله) اسم الذات الذى لا يصح لأحد من البشر أن يتسمى به أو يتصف به أو حتى أن يقترب به على نحو من أنحاء الامتزاج أو الحلول أو النبوة . . الخ فهو كما يقول الشيخ فى عبادته الدقيقة « للتعلق دون التخلق » أى هو خاص متعلق بالرب وحده وليس منصرفاً بحال نحو

الخلائي • أما ما عدا ذلك كالعادل والملك والواحد • الخ فيمكن في رأى
النفثيرى أن تنصرف للإنسان ويكون المقصود المعانى النسبية التى تليق
بالإنسان ونستبعد حينئذ كل المفاهيم المطلقة الخاصة بالألوهية •

وطبقاً لذلك فالحلاج لم يرتكب إثماً وبالتالي لا تشريب عليه ، إنه
ليس إلا أحد العارفين الذين يغلب عليهم الشهود في لحظات أنفناء فتجرى
المعرفة على لسانه للدلالة على عظمة الله المشهودة تماماً كما تجرى تلك
انعظمة في الشجرة والبحر والجبل • وكل مظاهر الكون الدالة على
التوحيد وعلى (الحق) لأن المعرفة كما يراها النفثيرى في موضع آخر
من الكتاب (تقتضى استصغار الأقدار — سوى قدرة ، ومحو الأذكار
سوى ذكره ، فإن نطق نطق بالله ، وإن سكت سكت به) أما الحلاج
في لحظاته العادية وبعيداً عن الشهود (فليس الحق) — هكذا يمكن تذوق
هذه القولة التى كانت كما قيل — من أسباب إعدامه في بغداد عام
٣٠٩ هـ •

أما عبارة الشبلى (أنا النقطة التى تحت الباء) فهى عبارة أونص صوفى
غامض يحتاج إلى الغوص في موضوع « الأسماء الحسنى وصفاته » —
فهو في غيبة الشهود — مثل صديقه الحلاج — يجرى على لسانه إذا
نطق النطق بالله فلو تصور القارىء الكريم الباء هكذا (ب) مثل
بسم الله الرحمن الرحيم فإن مقصود الشبلى أن النقطة التى تحت الباء
هى رمز للذات الإلهية ، فهى منفصلة عن الكون الذى ترمز إليه
التعويجة ، والتعويجة بدونها لا معنى لها فكما أن النقطة هى التى تعطى
للتعويجة قيمة فإن الله — رغم استقلال ذاته عن الكون — يعطى للكون
معنى • فالله هو معنى الكون •

ولكن التعويجة في ذات الوقت لا تخرج عن كونها مجموعة من النقط
المتلاصقة • وكل واحدة من النقط في هذه الحالة رمز لصفة من صفات
أفعال الله في الكون •

فكأن الله خارج عن الكون بذاته ، داخل فيه بصفاته وأظن الكلام
أصبح واضحاً مفهوماً بعد عرضنا للأسماء والصفات في هذا التقديم •

•• وأخيراً

فإنه إذا كانت بعض الفلسفات المتأثرة بالثقافة اليونانية تضع ضمن مبادئها التشبيه بالخالق — عز وجل — في حدود الطاقة البشرية فإن القشيري قد أبان في (التحبير) نماذج لآداب عظيمة ، وقيم عالية مستوحاة مباشرة من معرفة الأسماء والصفات الإلهية بحيث لو استجمع الصوفي هذه الآداب كان متخلفاً بفضائل تعينه على أن يذم عن نفسه وعن الكون وعن كل الآثار والأغيار ، وتحثه على أن يحدث خطاه نحو المعتقدات الإلهية •

ولعل بهذا الكتاب أكون قد قدمت للقارئ شيئاً غالياً من تراثنا العظيم ، شيئاً له فوائد في التخلق والسلوك فضلاً عن الفهم والتعرف إلى أهل الطريقة وعلومهم ، لأننا كثيراً ما نتهم اتجاهاتهم بما هم بعيدون عنه كل البعد •

والمطلوب منا فقط أن نحسن ما نختاره حين نقرأ عنهم •

نسخ الكتاب

والأصل أن هذا الكتاب مردود إلى نسختين متباعدتين في المكان ، فأما الأولى فهي مخطوطة بدار الكتب المصرية •

— التيمورية الفن : مجاميع تحت رقم ١٩٦ ومذيلة في نهايتها باسم ناسخها : عبد المنعم سلامة الدنجاوي الشافعي الأزهرى •

وأما النسخة الأخرى فقد وجدناها — وهي أكبر حجماً من سابقتها — في مكتبة الفردوس بمدينة دوشانبيه عاصمة جمهورية طاجكستان ، وتقع بعد نقلها في ثمان وسبعين صفحة •

وقد قومنا النص عليهما ورمزنا للمصرية بالحرف (م) وللدوشانبيهية بالحرف (س) •

التعريف بصاحب الكتاب

ظل الناس مئات السنين لا يكادون يعرفون القشيري إلا من خلال « الرسالة » التي اكتسبت من الشهرة ما جعلت الباحثين يكتفون بها للإشارة إليه وإلى آرائه المعتدلة في التصوف ، فلا يخلو بحث في الشرق أو في الغرب إلا ويعرج عليها على أساس أن صاحبها رجل سني معتدل يدلي برأيه في موضوعات التصوف الشائكة التي كثيراً ما اختلف الناس حولها .

ولهذا نشعر بالحاجة بأن نزود القارئ باللمامة مختصرة تثبت ذلك وتوضح مدى ثقافته في المعقول والمنقول ، وننوه إلى جوار ذلك بغزارة إنتاجه حتى يعرف الجميع أن « الرسالة » رغم أهميتها قد ظلمته حين أوقفت شهرته عليها .

ولم يكن ليتاح لنا ذلك لولا أنني اخترته موضوعاً لأطروحة الدكتوراه في كلية الآداب بجامعة القاهرة ، وكان على أن أستجمع تراثه بقدر الوسع من كل أصقاع الدنيا حتى تأتي نتائج البحث جديرة بتغيير كثير من الأحكام عن التصوف وتدعيم البعض منها وتوضيح الغامض وإلقاء الضوء على المشكل .

ولقد حالفني التوفيق لتحقيق هذه الغاية حينما ذهبت للعمل أستاذاً بالجامعات السوفيتية ، وأخترت أن يكون عملي بين جمهوريتي طاحكستان وازبكستان حيث المخطوطات الإسلامية الرائعة ترقد في المكتبات العامة والخاصة منذ مئات السنين ، وقد أخفى بعضها في القرى النائية خوفاً من زحف المغول الذين داسوا بأقدامهم السوداء تراث الأمة الإسلامية ، وأحرقوا وغرقوا روائع ما خلفت في كل العلوم .

نقترب من القشيري ..

فنعلم أنه ولد في ربيع الأول من عام ٣٧٦ هـ في قرية صغيرة اسمها « أستوا » تجاوز المدينة العظيمة نيسابور التي هي في إيران الآن .

ونستعجل الأحداث فنجد أنه ينتقل إلى ربه تعالى في عام ٤٦٥ هـ .
ومعنى هذا أنه عاش ما يقرب من تسعين عاماً في أخريات القرن الرابع
وشطراً كبيراً من القرن الخامس الهجرى ، وهى فترة يعرفها المؤرخون
بأنها فترة اضطراب تاريخى ولكنها فترة التآلق والابتكار ووضع القواعد
فى العلوم الإسلامية ، حيث وصلت إلى مرحلة النضج عبر القرون
السابقة .

واسمه الكامل عبد الكريم بن هوازن عبد الملك بن طلحة بن محمد
القشيرى . وكنيته أبو القاسم ولقبه زين الإسلام وشهرته القشيرى ،
وهو عربى النسب من جهة أبيه ومن جهة أمه ، فهو من سلالة الفاتحين
الذين قدموا من الجزيرة العربية واتجهوا نحو المشرق .
ويتلقى علومه الأولى فى القرية وينبغ فى الحساب .

فلما حدثت اضطرابات إقتصادية ومالية فى بلاده أوفدوه مع لفيف
من لداته إلى نيسابور ليتعلم الحساب .

ولكن نيسابور تشده إلى مجامع العلوم المعروفة فى عصره حيث
ينولى كبار الشيوخ تدريس التفسير والحديث والفقه والكلام فينجذب
إلى هذه المجمع ، وينبغ فى دراسته على نحو يلفت إليه أنظار أساتذته ،
فيشجعونه ويوجهونه ، لأنهم أعجبوا كثيراً بأنه يجمع إلى جانب نجابته
العلمية خصال الزهد والعفة والورع والتقوى .

وكان من شيوخه ابن فورك والاسفرايينى ومن أصدقائه أبو عبد
الرحمن السلمى والبيهقى وأبو المعانى الجوينى إمام الحرمين .

ولكن .. يحدث حادث جديد .. إذ يلج إلى القشيرى مجلس
أبى على الدقاق الذى كان يحاضر فى علوم التصوف ، والرقائق والدقائق ،
والمقامات والأحوال .. فيشعر الشاب أن هذا هو الوسط الذى كان
يتمناه ، وحين طلب إلى شيخه أن ينصحه بالتزام أحد الطريقتين : علوم
الظاهر أم علوم الباطن أشار عليه شيخه الجديد أن يحاول الجمع بين

الاثنين فكلاهما محصول هام لعلوم الشريعة وعلوم الحقيقة •

ولكن يأتي وقت يعجز القشيري عن هذا الجمع فيرتبط بالدينان نهائياً ، ويصر على أن يختار طريقة فقد اطمأن إلى ما استوعب من علوم أهل الظاهر •• فيقر بالدقائق ويزداد حباً له ثم يرشحه للزواج من ابنته ناطمة منفضلاً إياه على كل من تقدم لها ، ويتم الزواج الموفق ، وينجب القشيري ستة من الأبناء كلهم أئمة وكلهم عبادة إلى جوار ابنه أمة الرحيم أم عبد الغافر صاحب تاريخ نيسابور •

وقد خلفت هذه الثقافة في علوم المعقول والمنقول آثاراً بعيدة المدى في تشكيل آرائه ، وحسن موازينه ، ودقة أحكامه ، فهو لم يدخل التصوف أمة بل على قدر هائل من ثقافة عصره مما مكنه من حسن الدفاع عن أهل الحقيقة حتى في المواضع الشائكة التي يساء فهمها في بعض الأحيان •

ثم إن الانكبات على كل هذه الثقافات لم يترك له فراغاً يعاني فيه ما يعاني الشباب من ضغوط وعقد نفسية ، وآية ذلك أنك لو تابرت على قراءته من خلال مصنفاته لا تجد شيئاً من ذلك وراء هذا الباحث الجاد الباحث عن الحقيقة المطمئن النفس ، وحينما ارتقى إلى مرتبة الشيوخ كان ينصح مريديه نصائح لو جمعناها لكانت وحدها رصيذاً هائلاً في تربية الشباب المسلم في كل عصر •

وقد عمل القشيري لكسب عيشه منذ عهد مبكر ، فلم يكن عالة على أحد حتى إذا وصل إلى الثلاثين من عمره صدر الأمر بتعيينه مدرساً في مسجد المطرز يومين كل أسبوع ، وفيما عدا ذلك كان ينصرف إلى التأليف دون انقطاع ، فوضع وهو في هذه السن تقريباً تفسيراً كاملاً اسمه « التيسير في التفسير » وهو تفسير ينبني عن براعته في علوم الفقه والأحكام والكلام فضلاً عن اللغة والآداب ، وهو إلى جوار ذلك فيه لمحات صوفية تبشر بأن وراءه في المستقبل صوفياً ورعاً •

الأمر الذي تجلّى بعد ذلك في بقية مؤلفاته على نحو واضح •

وقد استطعنا بتوفيق الله أن نستجلب من الأماكن البعيدة مخطوطات ثمينة لهذه الكنوز نشرنا بعضها محققاً ومشروحاً ، ولقيت عند القارئ الكريم خطوة مما دعا إلى طبع بعضها عدة طبعات ، الأمر الذى يدل على أن عشاق الثقافة الرفيعة مازالوا هم الخير الكامن فى الأمة •

ومن هذه الكتب لطائف الإشارات الذى هو مهتم بما يخرج من الآيات الكريمة من إشارات بعيدة تفوق العبارات ويقع فى ستة أجزاء كبيرة ، وقد أخرج فى آخر طبعة له فى ثلاث مجلدات ضخمة يحوى كل مجلد جزئين •

وله « المعراج » و « التحبير فى التذكير » وترتيب السلوك فى طريق الله تعالى ، وله •• شكاية أهل السنة بحكاية ما نالهم من المحنة ، والتوحيد النبوى ، « وحياة الأرواح والدليل على طريق الصلاح والفلاح » وله « اللمع » و « الفصول » ونحو القلوب الكبير ونحو القلوب الصغير ، والمقامات الثلاثة وآداب الصوفية •• إلى أن نصل إلى خمس وعشرين كتاباً وبحمد الله وتوفيقه بدأنا فى نشر كتبه الكبيرة ، أما الكتب ذات العناوين الجزئية كما هو واضح للقارئ عند قراءة الثبت السابق فهى لم تقع فى أيدينا بعد ، نعهد بأن نقف لها بقية العمر والبصر والعافية إن شاء الله •

فإن الشئ المحقق الذى لمسناه طوال عشرين سنة معه خلال نصف قرن أننا غمرنا ببركاته وأفضاله ، وفتح الله لنا مغاليق الأمور ، وأبسط شئ من ذلك نيلنا للأستاذية مرتين بفضل هذه الثروة الروحية النفيسة التى تفوق ذهب الأرض كلها •

نفعن الله سبحانه ونفع الناس به وسدد خطانا على طريق الخير
إنه سميع مجيب ، •• إبراهيم بسيونى
أستاذ الفكر الإسلامى — بجامعة عين شمس

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(والله الأسماء الحسنی)

رب يسر

هذا كتاب « التحبير في التذكير » الذي ألفه الإمام ، العالم العامل ،
الزاهد العارف أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري قدس الله
روحه ، ونور ضريحه .

فصل (١)

قوله تعالى :

« والله الأسماء الحسنی » .

وصفها بالحسنى لما تتضمنه وتدل عليه من صفات العلو والعظمة
والكبرياء ، أو لما يستحقه الذاکر لها ، والداعى بها من جزیل الثواب
وحسن المآب .

واشتقاق الاسم من السمو أو من السمة ، فمن عرف أسماء الله
تعالى يجب اتصافه بها ، فتعلو همته عن عبودية غير الله ، فتتم بذلك
عبوديته . ومن عرف اسم ربه نسي اسم نفسه ، وتنعم بروح أنسه ،
قبل وصوله إلى دار قدسه ، وسمت رتبته ، وعلت في الدارين منزلته ،
فمن أجل قدر الله أجل الله قدره . قيل إن بشراً الحافي^(٢) كان في بدايته
من الشطار فرأى يوماً قرطاساً فيه اسم الله تعالى مكتوب ، فرفعه ونظفه

(١) في . وردت (فضل) .

(٢) هو أبو نصر بشر بن الحارث الحافي من مشاهير زهاد مرو ، سكن
بغداد ، ومات بها عام ٢٢٧ هـ ، وكان كبير الشأن حتى قيل لم يخلق بعده
مثله ، ومن أقواله : لا يحتمل الحلال السرف ، ولا يجد حلاوة الآخرة رجل
يحب أن يعرفه الناس (طبقات السلمي) .

واشتري بدرهم طيباً فطيبه ، فقليل له في النوم : يا بشر ، طيبت اسمى
فوعزتي لأطيين اسمك في الدنيا والآخرة • وقيل لبشر : لم تمشي حافياً ؟
قال : لأن الأرض بساطة فأعظم ببساطه ! قيل لم يخرج من الدنيا أحد
مثل ما خرج^(٣) منها بشر لأنه وهب ثوبه في مرضه ، ومات في ثوب
استعاره •

قيل لبعضهم متى يصير الفتى بليغاً ؟ فقال إذا ذكر محبوبه فأننى
عليه ، وقيل يصدق عكس هذا •

(٣) وردت في (مثل ما دخل فيها) والأصح هو هذا الذي ورد
في س لاستقامة المعنى به .

فصل

قوله تعالى :

« فاعبده واصطبر لعبادته » •

يدل على أن الحال وإن صفت لا تكفى إلا باقتران صفاء^(٤) العاقبة بها ، ولهذا قيل لا يفوتكم صفاء الأوقات فإن تحتها غوامض الآفات وقيل في معناه :

أحسننت ظنك بالأيام إذ حسنت ولم تخف سوء ما يأتى به القدر وسألتك الليالى فاعتررت بها وعند صفو الليالى يحدث الكدر

فكم من شجرة أورقت وأزهرت وما أثمرت ، وكم من مشهور بعبادته مغرور بصفاء حالته ، بدا له من خفايا سابقته ما لم يكن في حسابه •
نعوذ بالله من سوء الخاتمة • والاصطبار نهاية الصبر ، ومن صبر ظفر ، ومن لازم وصل ، ومن أدمن قرع باب يوشك أن يفتح له ، وقيل في معناه :

أخلق بذى الصبر أن يحظى بحاجته ومدمن القرع للأبواب أن يلجا وقيل أيضاً :

وقل من جد في أمر يحاوله واستصحب الصبر إلا فاز بالظفر قوله تعالى :

« ليس كمثله شيء » •

قال الواسطى : « ليس كذاته ذات ، ولا كفعله فعل ، ولا كصفته صفة إلا من جهة موافقة اللفظ اللفظ » • وهذا القول يجمع جوامع مسائل التوحيد •

تبارك وتعالى قيل تعظم وتقدس ، وقيل تفاعل^(٥) من البركة وهى

(٤) وردت في - (وفا) والمعنى يستقيم بما ورد في (س) •

(٥) في - وردت (منه) والأصح كما جاء في س •

النفع والزيادة ، وقيل الخير الكثير في كل شيء . وكل آية احتملت وجوهاً وليس بينها تناقض ولا تضاد^(٦) ولا انعقد الإجماع على أن المراد منها البعض فهي على العموم ، وكل من ذكر الله بإسم من أسمائه ، وأثنى عليه بعث من نعوته لزمه أن يطالب نفسه بمقتضى ذلك الإسم ، وموجب ذلك الذكر •

عن جعفر الصادق : « من طلب ما لم يخلق تعب ولم يرزق • قيل وما ذلك ؟ قال : الراحة في الدنيا » ، وقيل في معناه :

يطلب الراحة في دار الفنا خاب من يطلب شيئاً لا يكون

(٦) في مـ وردت (ولا تضرر) ، والمعنى لا يستقيم بها .

فصل

في معنى اسم « الله »

قيل إنه غير مشتق وهو أحد أقوال الخليل ، ويحكى أن الشافعى رضى الله عنه أنه قال به ، وكثير من أهل الحق • ولم يسم به غيره تعالى وتقدس ، ولهذا قال بعض المشايخ : كل اسم من أسمائه يصلح للتخلق به إلا هذا الإسم فإنه للتعلق دون التخلق •

وقيل هو مشتق ، ثم اختلفوا في المعنى الذى هو مشتق منه اختلافاً كثيراً موضعه كتب العربية •

قيل : قل من يوقف الدعاء عن الإخلاص — ثم لا يستجاب له ، حكى أن رجلاً باع جارية فندم على بيعها ، واستحى أن يظهر حالته للناس فكتب حاجته في كفه ، ورفعها إلى السماء ، فلما أصبح قرع الباب عليه رجل ، فقال له : من أنت ؟ فقال : مشتري الجارية ومعى الجارية •

فقال : إن كنت تردّها فاصبر حتى أرد لك الثمن •

فقال : لا أريد الثمن ، فإنى أخذت خيراً منه ، لأنى رأيت البارحة في منامى يقول الله تعالى : إن البائع ولى من أوليائنا ، وقد تعلق قلبه بها ، فإن رددتها عليه أدخلناك الجنة •

كان الشبلى^(١) يقول كثيراً : يا دليل المتحيرين زدنى تحيراً •

(١) هو أبو بكر دلف بن جحدر الشبلى خراسانى الأصل ، بغدادى المولد والمنتشأ ، وأصله من أسروشنة ومولده كما قيل سامرا ، تاب في مجلس النساج ، وصحب الجنيد ، وكان فقيها على مذهب مالك عاش سبعا وثمانين سنة وتوفي عام ٣٣٤ هـ ، وللشبلى أقوال جليلة الشأن في المقامات والأحوال ، وله أيضاً شطحات ، وله اشعار كثيرة في الحب الالهى • (عن طبقات السلمى) •

وقال ذو النون المصري^(٢) رحمه الله : المعرفة أولها التصير ثم الاتصال ثم الافتقار ثم الحيرة •

قال يحيى بن معاذ^(٣) رحمه الله : لو دارت السنة العارفين مع الناس كما تدور قلوبهم مع الله لقليل إنهم مجانين •

وعلاوة صحة العارف ألا يقع منه في أحكام الشريعة تقصير في جميع أحواله ، فإن من لم تحفظ له أوقاته في أداء ما كلف به — وإن كان مغلوباً — فذلك لنقص في حاله •

وقيل للشبلي : ما علامة صحة حالك ؟ فقال : إنه لا يجرى على في حال الغلبة ما يخالف حال الصحو •

قال يحيى بن معاذ : ما أشد تعلق الرياء بالقلوب ! فإنه لو دخل عليك صبي لتغيرت لأجله ، وحسنت ظاهرك بسببه !

قال المشايخ من أعجب بنفسه حجب عن ربه ، والإعجاب هو رؤية المقام ، واستكبار القدر والجاه ، واستكثار الطاعة والنظر إليها ، ونسيان بالحضور والإخلاص • ولو لم يكن لترك الإعجاب موجب إلا قصة المعاصي السالفة في جميع العمر بالنظر إلى طاعة تتدر أحياناً ، ولا تتصف الحضور والإخلاص • ولو لم يكن لترك الإعجاب موجباً إلا قصة إيليس حيث قال : أنا خير منه ، فجرى عليه ما جرى • وقصة قارون حين خرج على قومه في زينته معجباً مفتخراً فخسف به • وقصة فرعون حين قال : « أليس لى ملك مصر » — لكان في ذلك كفاية في الزجر والمنع •

(٢) ذو النون المصري اسمه ثوبان وقيل الفيض بن إبراهيم كان أبوه نوبياً توفي ٢٤٥ هـ ، ورد المتوكل في سعاية فلما وعظه بكى المتوكل ورده مكرماً إلى مصر ، ولذى النون آراء عظيمة في المعرفة والعارف تزخر بها رسالة القشيري وطبقات السلمي •

(٣) يحيى بن معاذ الرازي خرج إلى بلخ وأقام بها مدة ورجع إلى نيسابور ومات بها عام ٢٥٨ هـ وهو نسيج وحده في وقته وله لسان في الرجاء خصوصاً وكلام في المعرفة (رسالة القشيري) •

وفي بعض الكتب إن السمكة التي عليها الأرضيين ، سببت بنفسها كيف أطاقت حمل الأرضيين مع ثقلها فقيض الله تعالى لها بعوضة لسعت أنفها فأصابها وجع شديد فسكنت والبعوضة بين عينيها لا تجسر السمكة أن تتحرك من خوفها •

ومن أوصاف العارف ألا تأخذه في الله لومة لائم ، فيكون بالحق ناطقاً ، وبحق الله قائماً ، وفي دين الله قوياً ، لأن المعرفة تقتضي استصغار الأقدار سوى قدره ، ومحو الأذكار سوى ذكره ، فإن نطق نطق بالله ، وإن سكت سكت به ، وأفضل الأشياء كلمة حق عند من يخاف ويرجى •

وحكى أنهم فيما مضى كانوا يعبدون شجرة ، فخرج رجل مؤمن من بيته وأخذ معه فأساً ليقطع تلك الشجرة غيرة في الدين وحمية ، فتمثل له إبليس في صورة رجل ، وقال : إلى أين تذهب ؟

فقال : أقطع تلك الشجرة التي تعبد من دون الله • فقال له : أترك وأنا أعطيك كل يوم درهمين ، إذا استيقظت وجدتها تحت وسادتك ، فطمع الرجل وتركها وانصرف ، فلما أصبح لم يجد تحت وسادته شيئاً ، هكذا ثلاثة أيام ، فخرج مغضباً ومعه الفأس ليقطعها ، فاستقبله إبليس فقال : إلى أين تذهب ؟ فقال : أقطع تلك الشجرة ، فقال : إرجع فلو دنوت منها لقطعت عنقك ! لأنك في المرة الأولى أتيت خشية الله فما كان أحد يقدر على منعك ، وفي هذه المرة أتيت بداعية الغضب الذي بدا لك من فوات الحظ في الدراهم ، فارجع فإنك لا تقدر عليها !

ومن أوصاف العارف أن يحتمل الأذى بطيب نفس من كل الخلق ، ولهذا قال سهل بن عبد الله التستري^(٤) : « الصوفي من كان دمه هدرأ

(٤) أحد أئمة الصوفية وعلمائهم والمتكلمين في علوم الرياضات والاخلاص وعيوب الأعمال توفي عام ٢٨٣ أو ٢٩٣ ومن كلامه : الناس نيام فإذا انتبهوا ندموا ، وإذا ندموا لم تفهمهم ندامتهم • أدنى الأدب أن تقف عند الجهل ، وآخر الأدب أن تقف عند الشبهة • الله قبلة النية ، والنية قبلة القلب ، والقلب قبلة البدن ، والبدن قبلة الجوارح ، والجوارح قبلة الدنيا (طبقات السلمى) •

وملكه مباحاً » • واعلم أن الخلق في الدنيا جيرانك أو رفاقك في سفر الآخرة فأحسنهم خلقاً أسرفهم قدراً • حكى عن مالك بن دينار أنه استأجر داراً من يهودى ، تحول اليهودى كنيفه إلى بيت يلى جدار تلك الدار ، وكان الجدار مشقوقاً ، وكانت النجاسة تدخل إلى دار مالك ، وتقع في محرابه ، وقصد اليهودى بذلك إيذاء مالك ، ومالك ينظف محرابه كل يوم من تلك النجاسة ويكنسها ولا يقول لليهودى شيئاً ، فتعجب اليهودى من صبره ، فدخل عليه يوماً وقال : ما الذى صبرك على مقاساة هذه المشقة ؟ فقال : قول نبينا ﷺ مازال جبريل يوصينى بالجار حتى ظننت أنه سيورثه • فأسلم اليهودى وحسن إسلامه •

وأما أقوال شيوخ الصوفية في معنى هذا الإسم (اسم الله) فكثيرة ، وأكثرها رموز تحتاج إلى بيان وتفسير ، فمن ذلك قول الشبلى !! ما قال أحد الله سوى الله ؟ ، أى لأن كل من قاله قلبه بحظ • • ومتى تدرك الحقائق بالحوظ ؟ ! معناه أن ذكر الخلق له لا يشبه ذكره لذاته المقدسة ، والشيء الذى يقل قدره يعد لا شيء بالإضافة ، إلى ماله قدر • وقال أبو سعيد الخراز^(٥) : من الذاكرين من جاوز حووظ نفسه ، ووقع في نسيان حظه من الله تعالى ، ونسيان حاجته منه جل سناؤه ، فلو تكلمت أعضاؤه وجوارحه ومفاصله ل قالت الله الله الله ، أصاب أحدهم حجر في رأسه فشجه فوق دمه على الأرض فانكتب على الأرض الله الله • وحكى أن أبا الحسين النورى^(٦) بقى سبعة أيام قائماً لم يأكل ولم يشرب ولم ينم ، وهو يقول الله الله فأخبر الجنيد بذلك فقال : أنظروا • • أمحفوطة عليه أوقاته أم لا ؟ ف قيل له : إنه يصلى الفرائض • فقال • الحمد لله

(٥) الخراز من أهل بغداد صاحب ذا النون والسرى مات ٢٧٧ هـ من اقوائه : كل باطن يخافه ظاهر فهو باطل • وقال : صحبت الصوفية ما صحبت فما وقع بينى وبينهم خلاف قالوا : لم ؟ قال : لانى كنت معهم على نفسى (رسالة القشيري) •

(٦) النورى خراسانى الأصل صاحب السرى والقصاص توفى عام ٢٩٥ هـ (طبقات السبلى) •

الذى لم يجعل للشيطان سبيلاً • ثم قال : قوموا نزره : فيما نسير منه
أو نفيده ، فدخل عليه فقال : يا أبا الحسن • ما الذى دهاك ؟

فقال : أقول الله الله •• زيدوا على •

فقال له الجنيد : انظر ••• هل قولك الله بالله أم بقولك أنت ؟
فإن كان بالله فلست القائل له ، وإن كان قولك لنفسك فأنت مع نفسك •••
فما معنى الوله والحيرة ؟

فقال : نعم المودب أنت ••• وسكن وله •

وقال بعضهم الألف من هذا الاسم (يعنى الله) إشارة إلى
الوحدانية ، واللام الأولى إشارة إلى محو الإشارة ، واللام الثانية إلى
محو المحو فى كشف الهاء •

وحكى أن الشبلى قال فى مجلس الجنيد فى وله : (الله) فقال
له الجنيد يا أبا بكر الغيبة حرام • قيل : معناه إن كنت غائباً فذكر الغائب
غيبة ، وإن كنت حاضراً فهو ترك الحرمة •

وقال أبو سعيد الخراز قلت لبعضهم ما غاية هذا الأمر ؟

فقال : (الله) قلت : ما معنى قولك (الله) ؟

قال : معناه اللهم دلنى عليك ، وثبتنى عند وجودك ، ولا تجعلنى
ممن يرضى بجميع ما هو دونك عوضاً عنك ، وأقر قوادى عند لقاءك •

فصل

في معنى : « لا إله إلا الله »

في الخبر من قال آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة • وفي الخبر : لا إله إلا الله مفتاح الجنة وإنما يكون العبد قائلًا لا إله إلا الله في الحقيقة إذا كان قائلًا بقلبه ، وفي الخبر : من قال لا إله إلا الله مخلصاً دخل الجنة ، إذا كان عارفاً ، معناه إذا كان عارفاً بربه ، وكل الناس يحملون قوله مخلصاً على أنه أراد إذا مات على الإخلاص • وأهل الإشارة قالوا إذا كان مخلصاً في الحال في قوله كان داخلاً في الحال في جنته •

قال الله تعالى :

« وأن خاف رب جنتان » •

قليل جنة معجلة وهي حلاوة الطاعات ، ولذة المناجاة ، والأنس بفنون المكائفات ، وجنة مؤجلة وهي فنون المثوبات ، وعلو الدرجات •

قال بعض المشايخ معنى : لا إله إلا الله نفى ما يستحيل كونه وإثبات ما يستحيل فقده •

وقال رجل لبعضهم لم تقول : الله الله ولا تقول لا إله إلا الله ؟ فقال : لا أنفي به ضدًا • فقليل : نريد أعلى من هذا فقال : لا تجرى على لسانى كلمة الجحود فقليل نريد أعلى من هذا فقال : قل الله ثم ذرهم ، وزعق فخرجت روحه ، فادعى أولياؤه على الشبلى دمه وحملوه إلى الخليفة ، فأرسل إلى الشبلى من يسأله عن دعواهم ، فقال الشبلى : روح حنت ورجت^(١) ، فدعيت فأجابت •• فما ذنبي ؟ فصاح الخليفة من وراء الحجاب : خلوه •• لا ذنب له •

(١) هكذا في (س) أما في (م) فهي (ورنت) •

فصل

في معنى اسمه « هو »

إنعلم أن هذا الاسم عند هذه الطائفة إخبار عن نهاية التحقق : وهو عند أهل الظاهر مبتدأ يحتاج إلى خبر ليتم الكلام ، وعند أهل الطريق لا يحتاج لأنه مفيد ولأنه كلام تام بدون شيء آخر يتصل به أو يضمرو ذلك لاستهلاكهم في حقائق القرب ، واستيلاء ذكر الحق على أسرارهم فلا يسبقن إلى قلوبهم غيره ، ويكتفون به عن كل بيان •

قال الإمام أبو بكر به فورك^(١) قدس الله روحه : (هو) حرفان هاء وواو ، فالهاء تخرج من أقصى الحلق وهو آخر الخارج ، والواو تخرج من الشفة وهو أول الخارج — (هو) إشارة إلى ابتداء كل حادث منها وانتهاء كل حادث إليه ، وإليه الإشارة •

بقوله تعالى :

« هو الأول والآخر » •

وقال بعضهم : رأيت بعض الوالهيـن فقلت : ما اسمك ؟ فقال : هو ، فقلت : من أنت ؟ فقال : هو ، فقلت : من ابن يحيى ؟ فقال : هو ، فقلت : من تعنى بقولك هو فقال : هو ، فما سألتـه عن شيء إلا قال هو ، فقلت : لعلك تريد الله ، فصاح وخرجت روحه •

وقال بعض أهل الإشارة : إن الله تعالى كاشف الأسرار بقوله

(١) هو شيخ من شيوخ القشيري في الأصول والكلام ، وفد الى نيسابور قادماً من العراق ، فالتف من حوله الخاصة والعامة ، وصفه عبد الغافر الفارسي حفيد القشيري بأنه ذو بركة ، ويستسقى به ، ويستجاب الدعاء عنده (دلبقات الشافعية للسبكي ، وفيات الأعيان لابن خلكان) .

« هو » ، وكاشف القلوب بما عداه من الأسماء^(٢) .

وقيل كاشف الهيم^(٣) بقوله « هو » ، والمهيمن بقوله « الله » ،
والعلماء بقوله « أحد » والعقلاء بقوله « الصمد » والعوام بقوله
« لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد »^(٤) .

(٢) القشيري يرتب الملكات الباطنية تنازلياً على هذا النحو : سر السر ،
سر ، الروح القذب ، النفس والعقل .

(٣) الهيم جمع هائم مثل الخشع جمع خاشع .

(٤) هذا لون من التفسير الاشاري الذي عرف به القشيري .

فصل

في معنى اسم « الملك »

ورد في القرآن العزيز الملك ، ومالك الملك ، ومالك يوم الدين .
والمليك .

قال تعالى :

« في مقعد صدق عند مليك مقتدر » .

وهو مبالغة من المالك كالعليم من العالم ، والمالك مشتق من الملك ،
وأصل الملك في اللغة الشد والربط ، ومنه قولهم ملكت العجين إذا بالغت
في عجنه ، ومنه سمي عقد المصاهرة إملاكا لأنه تربط به اليصلة بين
الزوجين ، وتحقيق الملك عند أهل التحقيق القدرة على الإبداع والإشياء ،
فلا مالك في الحقيقة إلا الله وفي غيره مجاز ، فإذا ثبت لزوم العبد أن يتبرأ
من الإضافة إلى نفسه ، فلا يقول بى ولا لى ولا منى ، ولهذا قيل :
التوحيد إسقاط الیاءات یعنی یاءات الإضافة إلى نفسه .

وقيل لبعض المشايخ ألك رب ؟ فقال : أنا عبد وليس هو مولى لى ،
من أنا حتى أقول لى ؟ !

قال بعض الأمراء لبعض الصالحين : سلنى حاجتك ؟

قال : كيف تقول لى هذا ولى عبدان أنت ، عبدهما ؟ !

قال : ومن هما ؟

قال : الحرص والهون ، فإننى غلبتهما وغلباك ، وملكتهما وملكاك :
وقيل في قوله تعالى :

« رب قد آتيتنى من الملك » .

إنه أراد به ملكه على نفسه حيث لم يطعم شهوته^(١) حين راودته امرأة العزيز •

وقال بعضهم مررت بعسقلان فوقع بصرى على امرأة جميلة فمال قلبى إليها ، فاستعنت بالله واتقيت ، ومررت فرأيت فى تلك الليلة يوسف عليه السلام فقلت : الحمد لله الذى عصمك من امرأة العزيز • فقال : الحمد لله الذى عصمك من العسقلانية •

ومن عرف أنه تعالى المتفرد بالملك أنف أن يذل المخلوق ، لأن المعرفة بحقيقة ملكه توجب التجرد له فى التقرب إليه وتوجيه القصد نحوه فقط •

قال بشر الحافى رحمه الله : رأيت أمير المؤمنين علياً رضى الله عنه فى المنام فقلت : عظمى يا أمير المؤمنين •

فقال : ما أحسن عطف الأغنياء على الفقراء طلباً لثواب الله تعالى ، وأحسن من ذلك تبه الفقراء على الأغنياء ثقة بالله جل جلاله • فقلت : زدنى يا أمير المؤمنين فقال :

قد كنت ميتاً فصرت حياً وعن قريب تصير ميتاً
عز بدار الفناء بيت فابن بدار البقاء بيتاً

قيل من أمارات التوحيد الثقة بالموعود ، وكثرة العيال على بساط التوكل • وقيل من آداب من يكون واثقاً بما عند الله ألا يتوقف فى الإنفاق والبذل لتحقيقه أن الخلق من الله سبحانه وتعالى معجل ، وجميل العقبى مؤجل • حكى أن حاتماً الأصم^(٢) كان صائماً فلما أمسى قدم

(١) فى « (لم يطعم شهوته) ولا يستقيم بها السياق •

(٢) هو حاتم بن علون من أكابر مشايخ خراسان ، تلميذ شقيق البلخى واستاذ ابن خضروية سمي كذلك لأنه تصامم حين جاءت امرأة لتسأله عن مسألة فاتفق أنه خرج منها فى تلك الحالة صوت فخلجت ، فقال حاتم : ارفعى صوتك فأرى من نفسه أن أصم فسرت المرأة بذلك . ومن أقواله عافيتى فى يوم =

إليه. عشاؤه ، فجاء سائل ، فدفعه^(٣) إليه فحمل إليه في ساعته طبق عليه ألوان الأطعمة والحلوى ، وجاء سائل آخر فدفعه إليه فحمل إليه في الوقت صرة فيها دنانير ، فصاح : الغوث من خلف !!

وكان في جيرانه رجل يسمى خلفاً ، فاجتمع الناس عليه ، وقالوا :
نم تزدي الشيخ ؟

فقال : إني لم أعنه ، وإنما عجزت عن شكر الله تعالى على ما يجعل
لنا من الخلف •

= ألا اعصى الله فيه ، ومن دخل مذهبنا هذا فليجعل في نفسه أربع خصال من الموت: موتاً أبيض وهو الجوع، وموتاً أسود وهو احتمال الأذى من الخلق، وموتاً أحمر وهو العمل الخاسر من النسيب في مخالفة الهوى ، وموتاً أخضر وهو طرح الرقاع بعضها على بعض (الرسالة) .
(٣) ن م (فرغه) ولا يستقيم بها السياق .

فصل

في معنى اسمه « القدوس »

فعول من القدس ، وهو الطهارة ، والتقديس التطهير ، ومنه الأرض المقدسة أى المطهرة ، ومعناه فى صفة الله تعالى نفى النقائص ، والتنزيه من الآفات باستحقاق نعوت الجلال والكمال .

ومن آداب من عرف معنى هذا الإسم أن يطهر الله تعالى نفسه عن متابعة الشهوات ، وماله عن الشبهات ، ووقته عن دنس المخالفات ، وقلبه عن كدورات العلاقات ، وروحه عن المضاجعات والمساكنات ، وسره عن الملاحظات والالتفات ، فلا يتذلل لخلق بالنفس التى بها عبده ، ولا يعظم مخلوقاً بالقلب الذى به شهوده ، ولا يبالي بما فقدته بعدما وجدته ، ولا يرجع قبل الوصول إليه بما قصده .

فصل

في معنى اسمه « السلام »

قليل معناه ذو السلام ، والسلام بمعنى السلامة كاللذاذ بمعنى اللذاذة ، والرضاع بمعنى الرضاعة • معناه يقوده^(١) إلى تنزيهه عن الآفات ، وتقديسه عن صفات المخلوقات فيكون بمعنى القدوس ، وقيل معنى السلام أنه سلم المؤمنون من عذابه كما أن معنى المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده ، وقيل معناه أنه ذو السلام على أوليائه فإنه عز وجل قال :

« الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى »

فعلى القول الأول هو من صفات فعله ، حكى أن بعضهم رأى رجلاً يغتاب إنساناً فقال له : هل غزوت السنة الروم ؟ قال : لا ، قال : فهل غزوت الترك أو الهند ؟ قال : لا •

قال : فكيف سلم منك أعدائك الكفار ولم يسلم منك أخوك المسلم ؟

سئل بعضهم عن الورع فقال ، هو أن تطالب نفسك بما يطالب به الرجل الشحيح شريكه من المناقشة على النكير والقطمير •

ومن آداب من عرف هذا الاسم أن يعود إلى مولاته بقلب سليم ، والقلب السليم هو الخالص من الغل والغش والحقد والحسد ، فلا يضر لأحد من المسلمين إلا كل صفاء وخلوص ، وصدق ونصح ، فيحسن الظن بكافتهم ، ويسوء الظن بنفسه ، فيلاحظ أفعاله بعين الازدراء ، وأقواله بعين الافتراء ، ويعتقد أنه شر الخلق فيرى الكبير خيراً منه لأنه عرف الله تعالى وأطاعه قبله ، ويرى الصغير خيراً منه لأنه أقل منه معصية • وقال المشايخ : إذا ظهر لك من أخيك عيب فاطلب له سبعين باباً من العذر

(١) في - (يعوده) •

فإن اتضح لك فيها ، وإلا فعد على نفسك باللوم وقتل بئس الرجل أنت
حيث دم تقبل سبعين عذراً من أخيك •

ومن أمارات من يكون سليم القلب للمسلمين ألا ينطوى قلبه على
سوء لهم ، و (...) (٢) يدعو إليهم ، وأن يساء إليه فيحسن إليهم ،
وأن يظلم فينصفهم من نفسه ولا ينتصف منهم •

وروى في الخبر أنه صلى عليه وسلم قال : أيعجز أحدكم أن يكون
كأبي ضمضم ؟

قالوا : يا رسول الله ... ومن أبو ضمضم ؟

قال : رجل كان إذا خرج من منزله قال اللهم إني تصدقت بعرضي
على عبادي •

(٢) غير مقروءة في النسختين وإن كانت في س أكثر وضوحاً وتعليل إلى
أن تكون (وعليه أن تخفى) — وربما قبلها السياق •

فصل

في معنى اسمه « المؤمن »

معناه المصدق ومعناه في وصفه عز وجل تصديقه لنفسه وهو علمه تعالى بأن صادق ، أو تصديقه لعباده وهو علمه بأنهم صادقون ، أو تصديقه لوعده ، فيكون من صفات فعله على هذا الوجه .

ويكون المؤمن من الأمان بمعنى الإجارة لا بمعنى التصديق وهو إعطاء الأمان لمن استجار به واستعاذ فيكون من صفات فعله ، فالعبد يؤمن بالله ، والله تعالى يؤمنه .

واعلم أن المشابهة في الأسماء لا تقتضي المشابهة في الذات ، قيل ينادى غداً في القيامة مناد أن كل من سمى بنبي من الأنبياء فليدخل الجنة ، فيبقى أقوام لم توافق أسماؤهم الأنبياء فيقول الله تعالى : أنا المؤمن وأنا سميتكم المؤمن فيدخلهم الجنة .

حكى عن أبي يزيد^(١) قال : هممت أن أدعو الله تعالى أن يكفيني شهوات نفسي ، ثم قلت : إن رسول الله ﷺ لم يسأل ذلك فتركت ، هذا الدعاء فكفاني الله تعالى شهوات نفسي بركة اتباع السنة ، فصررت لا أميز بين امرأة تستقبلني وبين جدار .

(١) هو أبو يزيد طيفور بن عيسى بن سروشان وسروشان كان محبوباً واسلم ، وأبو يزيد من أهل بسطام ، وهو من كبار مشايخ الطبقة الأولى . له أقوال في الأحوال على جانب من الخطورة إذ تكسوها مسحة الشطح غلباً ، وله معراج روي يعد من الشوامع الفادرة على معارج الأولياء . ومن أقواله : هذا فرحى بك وأنا أخافك ، فكيف فرحى بك إذا أمنتك ؟ ... بارب أفهمني عنك فاني لا أفهم عنك إلا بك ... وسأل بأي شيء وجدت هذه المعرفة ؟ فقال : ببطن جائع وبدن عار ، توفي سنة ٢٦١ أو سنة ٢٣٤ م (انظر كتاب « المعراج » نشر الدكتور على عبد القادر فهو مذيّل بمعراج أبي يزيد) .

حكى عن أبى بكر الكتانى^(٢) قال : منذ كذا سنة ما خطر ببالى ذكر الطعام حتى قدم إلى • وقال بعضهم كنت أخدم الكتانى فى المدينة ، وكان يدسوم فكانت أقدم له كل ليلة ما يفطر عليه وأمضى ، فظهر عليه أثر الضعف والنعول ، فراقبته ليلة فجاء إنسان وسأله فأعطاء ما قدمته إليه لإفطاره ، فتبعته الرجل وسألته عن قصته معه فقال : له عدة ليال يعطينى كل ليلة هكذا ، فحملته إلى الشيخ طعاماً آخر وقلت له : هلا قلت لى إنك آثرت به حتى أحمل إليك طعاماً آخر فقال : كنت أنسى كل ليلة أنى لم أكل شيئاً •

(٢) الكتانى بغدادى الأصل صاحب الجنيد والخراز والنورى وجاوره بمكة الى أن مات ٣٢٢ هـ . نظر مرة الى شيخ ابيض الرأس واللحية يسال الناس فقال : هذا رجل اضاع حق الله فى صفرة فضيعه الله فى كبره . (رسالة القشيري) •

فصل

في معنى اسمه « المهيمن »

قيل هو الرقيب الحافظ ، وقيل الأمين ، وقيل الشهيد ، وقيل المؤمن أصله مؤيمن قلبت الهمزة هاء كما في أرقت الماء وهرقته^(١) فيكون بمعنى المؤمن على هذا .

ومن آداب من عرف معنى هذا الإسم أن يكون مستحيياً من اطلاعه عليه ورؤيته له ، وهو المراقبة عند أهل التحقيق ، ومعناه علم القلب باطلاع الرب . حكى أن إبراهيم بن أدهم^(٢) كان يصلى ليلة ، وحين جلس مد رجله فنهتف به هاتف : أهكذا تجالس الملوك ؟

وكان الحريري^(٣) لا يمد رجله في الخلوة ويقول : حفظ الأدب مع الله تعالى أحق .

(١) في م (وصرفته) وهى خطأ فى النسخ .

(٢) ابن أدهم من بلخ . كان من أبناء الملوك ثم طاق الإمارة وزهد ، وكان شديد الورع كثير السياحة ، من أقواله : اطب مطعمك ولا حرج عليك إلا تقوم الليل ولا تقوم النهار ، وكثيراً ما كان يدعو : اللهم انتقلنى من ذل معصيتك الى عز طاعتك ، ويؤثر عنه أنه لقي الخضر عليه السلام فعلمه اسم الله الأعظم مات بالشام سنة ١٦١ هـ .

(٣) الحريرى من كبار اصحاب الجنيد مات سنة ٣١١ هـ من أقواله : من استولت عليه النفس صار اسيراً فى حكم الشهوات ، محصوراً فى سجن الهوى ، وحرّم الله على قلبه الفوائد ، فلا يستلذ بكلام الحق ولا يستحليه وإن كثر ترداده على لسانه .

فصل

في معنى اسمه « العزيز »

وقيل هو الغالب لا يغلب ، والخاطر الذي لا يقهر ، من عز يعز .
بضم العين إذا غلب ، ومنه قوله تعالى :

« وعزني في الخطاب » •

وقيل هو الذي لا مثيل له من عز يعز بكسر العين لمن ذا قل وجود
مثله • فكيف إذا عدم : ومنه عز الطعام في البلد •

وقيل هو القادر القوي من عز يعز بفتح العين أى لا يوصل إليه
ومنه قولهم حصن عزيز إذا تعذر الوصول إليه مع جوازه ، فكيف إذا
استحال الوصول إليه إذ لا أحد له •

وقيل هو « المعز » فعيل بمعنى مفعول كألیم ووجیع ، فعلى هذا
أقول يكون من صفات الذات ، وإنما يعرف الله تعالى عزيزاً من أعز أمره
بالسمع والطاعة ، فأما من استهان بأمره فمن المحال أنه تحقق عزه ، ومن
عرف عزه يمنع فيشكر ، ويبتلى فيصبر ، ويستأذ لحكمه الهوان ،
ويستحلى^(١) الحرمان لأن القلوب مجبولة على تحمل المشاق من الأكابر
والأعزة ، والانقياد لأحكامها بالجوارح والقلوب •

قال رجل لبعض العارفين : كيف الطريق إليه ؟

فقال : لو عرفته عرفت الطريق إليه •

فقال : كيف من لا أعرفه ؟ فقال : وكيف من لا تعرفه ؟

وقيل لبعضهم : ما علامة أنك تعرفه ؟

فقال : ما أهم بمخالفته إلا نادى مناد من قلبى استج منى •

(١) هكذا في س وبها يستقيم المعنى أما في م فقد وردت (يستحيل) •

ومن آداب من عرف أنه العزيز أنه لا يعتقد لمخلوق اجلالاً ، ولهذا قال النبي عليه السلام : « من تواضع لغنى لأجل غناه ذهب ثلثا دينه » • قال أبو علي الدقاق^(٢) : إنما قال ثلثا دينه لأن تواضع المرء يكون بثلاثة أشياء ، لسانه وبدنه وقلبه ، فإذا تواضع له بلسانه وبدنه ولم يعتقد له العظمة بقلبه ذهب ثلثا دينه ، فإن اعتقدها بقلبه أيضاً ذهب كل دينه ، ولهذا قيل إذا عظم الرب في القلب صغر الخلق في العين •

ومتي عرفت أنه المعز لم تطلب العز الا منه ، ولا يكون العز الا في طاعته ، فإن قيل كيف الجمع •

قوله تعالى :

« من كان يريد العزة فلله العزة جميعا » •

وقوله تعالى :

« والله العزة لرسوله وللمؤمنين » •

قلنا : لا تنافي بينهما ، فإن العز الذي للرسول وللمؤمنين هو لله تعالى ملكاً وخلقاً ، وعزة سبحانه وتعالى له وصفاً ، فإذا العز كله لله •

(٢) الدقاق أستاذ القشيري ورائده وصهره وقد تحدثنا عن شيء من ذلك في تقديمنا لهذا الكتاب .

فصل

في معنى « الجبار »

قيل هو مأخوذ من قولهم نخلة جبارة إذا فاقت^(١) الأيدي ، فمعناه في حقه أنه لا تتأله يد جائرة ، ولا ينازعه معارض ، فيكون من صفات ذاته ، لأنه اخبار وجوده^(٢) على وصف السؤدد والجلال .

وقيل الجبار المتكبر من حيث المعنى ، والجبروت التكبر ، والتكبر في وصف الله عز وجل محمود ، وفي وصف الخلق مذموم وعلى هذا المعنى يكون من صفات ذاته أيضاً .

وقيل الجبار بمعنى المجبر ، وهو المكره يقال : جبرته على الأمر وأجبرته بمعنى واحد ، وان كان أجبرته في معنى الإكراه أكثر وأشهر استعمالاً من جبرته ، فمعناه في حقه أنه لا يوجد من خلقه إلا ما يريد شاءوا أو أبوا فيكون من صفات الفعل ، وقيل الجبار بمعنى المصلح من فولهم جبرت اكسر إذا أصلحته ، ومنه قول الشاعر :

قد جبر الدين الإله فانجبر

وعلى هذا يكون من صفات الفعل أيضاً ، والإسم إذا احتل معانى مما يصح في وصفه سبحانه فمن دعاه بذلك الإسم فقد أثنى عليه بجميع تلك المعانى .

فمن آداب من عرف أنه لا تتأله الأيدي لعلو قدره أن يتحقق أنه

(١) هكذا في س وبها يستقيم المعنى أما في م فقد وردت (فانت) .

(٢) هكذا في م وهي اقرب الى المعنى من (جوده) التي وردت في س .

لأسيبيل إليه ، ولابد من أمره^(٣) ، ولا نصيب للبد منه إلا لطفه وإحسانه ، اليوم عرفانه ، وغداً غفرانه •

ومن آداب من عرف أنه مصلح الأمور أن يتوخى أمره إليه ، ويتوكل في جميع أحواله عليه ، أن أصابه خير علم أنه مسدي ومتحفه ، وإن أصابه ضر علم أنه يزيله ويكشفه فلا يخاف من اختلال أحواله ، وقلة ماله مع كثرة عياله ، وضعف احتياله ، ثقة بلطفه وأفضاله •

(٣) في م (ولابد منه) .

فصل

في معنى « المتكبر »

التكبر والكبرياء اخبار عن استحقاقه لنعوت الجلال وصفات الجمال، والتكبر في صفة الخلق مذموم لأنهم محل النقص ، فمن تكبر منهم فقد تكلف أن يتصف بغير ما يليق به ، فمن عرف علوه سبحانه وكبريائه لزم طريق التواضع ، وسلك التذلل ، ولهذا قيل : هتك سره من جاوز قدره ، وقد قيل : الفقير في خلقته^(١) أحسن منه في جديد غيره •

ولا وصف أزين للخدم من التواضع بحضرة السادة ، سئل يحيى بن معاذ رضى الله عنه عن المحبة فقال : هي ما لا يزيد بالبر أو ينقص بالجفا •

(١) الثوب الخلق : القديم البالى •

فصل

في معنى « الخالق »

• الصحيح أن الخالق هو المخترع للأعيان ، المبدع لها •

وقيل الخلق هو التقدير ، وقيل هو التصوير ، ومنه قوله تعالى :

« وإذ تخلق من الطين كهيئة الطير » •

ومن آداب من عرف أنه الخالق ان ينعم النظر في اتقان خلقه فتلوح^(١) بقلبه دلائل حكمته سبحانه في صنعه ، فيعلم أنه خلقه من نطفة بشراً ، ركب أعضائه ، ورتب أجزائه ، على أحسن تركيب وأفضل ترتيب فتبارك الله أحسن الخالقين •

حكى عن بعضهم : قال كنت مع الثبلي رحمه الله ففتح له بمنديل حسن ، فمر بكلب ميت فقال لي : كفن هذا الكلب في هذا المنديل ، فادفنه • فحملت الكلب فيه ، وطرحته في موضع ، ثم غسلت المنديل ، وعدت إليه ، فقال لي : أفعلت ما أمرتك به ؟

• فقلت : لا •

فلم يقل لي شيئاً ، فقلت له : ما سبب ذلك الذي أمرتنى به ؟

فقال : لما مررت به استقذرتة واستقبحتة ، فنوديت في سرى : أليس نحن خلقناه ؟ ! فأمرتك بذلك كفارة لما خطر لي •

وفي خبر مسند أن النبي ﷺ قال : رحم الله أخى نوحاً كان اسمه بشكر ، ولكنه لكثرة بكائه على خطيئة أوحى الله تعالى : يا نوح كم تتنوح ،

(١) في • (ليلوح) •

فسمى نوحاً ، فقليل يا رسول الله : وما كانت خطيئته ؟ فقال : انه مر بكلب فقال في نفسه : ما أقبحه ! فأوحى الله تعالى إليه : اخلق أنت أحسن منه !

ومن آداب من عرف أنه سبحانه هو المتفرد بالخلق والإيجاد ألا يمجد كسب العبد ، وألا يطوى بساط الشرع (في الابتلاء بالأمر والنهي) (٢) ، ولا يعتقد أن للعبد على الله حجة بسبب ذلك .

(٢) هكذا في النسختين وفيها شيء من غموض .

فصل

في معنى « الباري »

هو الخالق يقال برأ الله الخلق أى خلقهم ، ومنه البرية وهى الخلق
الا أن العرب تركت همزتها • وقيل ان البرية مشتق من البرى وهو القراب
فأصلها غير الهمز ، وكل ما ذكر في الخالق يأتى مثله في البادى •

فصل

في معنى « المصور »

التصوير جعل الشيء على صورة ، فأنه تعالى برأ^(١) العبد وصوره ولم يكن شيئاً مذكوراً ، فالواجب عليه ألا يعجب بحاله ، وألا يبدل بأفعاله ، وكيف يتبجح بصفاء حاله وقد أشكل عليه حكم حاله ؟ وكيف لا يتراضح من يعلم أنه في الإبتداء نطنة ، وفي الإنتهاء جيفة ، وفي الحال صريع جوعه ، وأسير شبعه ، كنيف في قميص !! إن أمسك عن الكلام ساعة تغيرت رائحة فمه ، وإن عرق فاح صنان إبطه وأصابه ، فإذا شاهد نقع نفسه عرف جلال ربه .

قال تعالى :

« وفي أنفسكم أفلا تبصرون » .

وقال تعالى :

« بل الإنسان على نفسه بصيرة » .

مبقيل في قوله تعالى :

« وفي أنفسكم أفلا تبصرون » .

معناه أن يفكر الإنسان كيف زين الله تعالى العضو الذي لا يزال ظاهراً منه وحسنه وهو الوجه ، وسطر عليه المساوىء في الحال^(٢) فهو^(٣) حقيق بالألا يفضحك على رعوس الأشاهد يوم التناد .

(١) في (برى) والأصح أن تكون (برا) أى (برا) والهمزة محذوفة للتخفيف .

(٢) في الحال يقصد بها القشيري هنا — في هذه الحياة الدنيا .

(٣) ما بين القوسين زيادة أضفناها ليستقيم الأسلوب .

وقال بعضهم في قوله تعالى :

« وفي الأرض آيات للموقنين وفي أنفسكم أفلا تبصرون » •

نبههم على حسن الخلق بما دلتهم عليه من صفة الأرض ؟ فإنه يلقي عليها كل قبيح ، ويخرج منها كل مליح من الزهر وأنواع النبات ، فهكذا المؤمن ينبغي أن يشرب الغيظ ولا يرشح ، ويحتمل الأذى ولا ينتقم^(٤) . حكى أن بعضهم كان يسيء القول في رجل وهو يسمع ويصمت ، فحسب صدره فقال له : إياك أعنى فقال : وعنك أحلم •

قال الله تعالى :

« وصوركم فأحسن صوركم » •

ولم يقل لشيء من المخلوقات أحسن صورته الا للإنسان تخصيصاً له وتكريماً •

وقال تعالى :

« لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم » •

وهذا أيضاً مما لم يقسم به وغيره • وقد ورد في بعض الآثار أن الله تعالى خلق لجبرائيل عليه السلام مئمة جناح كلها مرصعة بالياقوت والدرر وجلجل الذهب المحشوة بالمسك ، لكل جلجل صوت لا يشبه صوت الأخرى ، وأن اسرافيل عليه السلام إذا أخذ في التسبيح عطل على كل الملائكة تسبيحهم لحسن صوته ، وطيب نغمته ، وأن نور العرش لو بدا لصار نور الشمس بالإضافة إليه كنور السراج بالإضافة إلى نور الشمس • ثم انه تعالى لم يصف شيئاً من هذه المخلوقات بما وصف به الإنسان من الوصفين المذكورين •

(٤) القشيري هنا ينتفع بما يعلم من تعريفات المشايخ للتصوف والصوفي ، فينقلها الى معرض مماثل انظر الرسالة ص ١٣١ حيث تجد تعريف الجنيـد للصوفي (انه كالأرض يطرح عليها كل قبـيح ولا يخرج منها الا كل مـليـح) •

ثم دع هذا الذى هو عائد إلى الخلقه وانظر إلى قوله تعالى :

• « يحبهم ويحبونه » •

هل وصف بذلك أحداً من المخلوقات غير بنى آدم ؟ واعلم أن حسن التصوير وإن كان فى ظاهر الخلق فإن حقيقته فى باب الخلق أتم وأكمل ، فإن الله تعالى حسن خلق الأكثرين وقل من لم يحسن خلقه ، وإنما يمتاز العوام عن البهائم بسوية^(٥) الخلق ، ويمتاز الخواص عن العوام بسوية الخلق ، ولم يمن الله تعالى على رسوله بشيء من النعمة كما من عليه بحسن خلقه حيث قال :

• « وانك لعلى خلق عظيم » •

ثم اعلم أن تباين الأخلاق كتباين الصور فكما لا تتشابه صورتان إلا نادراً فكذلك الأخلاق ، حكى أن بعض الأمراء سأل ندماءه عن^(٦) شر الأشياء فقال بعضهم : المرأة السوء ، وقال بعضهم الخلق السوء ، وقال بعضهم الجار السوء ، فتواضعوا على التحاكم إلى أول من يلقونه إذا خرجوا من البلد للسير ، فلما خرجوا استقبلهم من أهل السواد رجل معه حمار عليه جرار خزف ، فتحاكموا إليه فقال : شر الثلاثة الخلق السوء لأن المرأة السوء يمكن التخلص منها بالطلاق ، والجار السوء يمكن منه بالنقلة والمفارقة ، (أما) الخلق السوء (فهو) معك أينما كنت ، فاستحسن الأمير قوله •

(٥) فى م (بسوية الخلق) •

(٦) فى م (على) •

فصل

في معنى « الغفار »

من أسمائه عز وجل الغائر والغفور والغفار ، والغفور والغفار للمبالغة ، والغفار أبلغ ، وأصل الغفر الستر والتغطية ومنه قيل لحنة الرأس المغفر لأنها تستر الرأس ، وغفر الثوب (. .)^(١) ، فالمغفرة من الله تعالى ستر للذنوب ، وعفوه عنها بفضله ورحمته لا بتوبة العباد وطاعتهم ، وفي بعض الأخبار : عبدى لو أتيتنى بتراب الأرض ذنباً أتيتك بتراب الأرض مغفرة ما لم تشرك بى شيئاً .

وفي خبر مسند : أن رجلاً يؤمر به إلى النار فإذا بلغ ثلث الطريق التفت ، ثم إذا بلغ نصف الطريق التفت ، ثم إذا بلغ ثلثى الطريق التفت ، فيقول الله تعالى : ردوه ثم يسأله :

لم التفت ثلاث مرات ؟

فيقول : لما بلغت ثلث الطريق ذكرت قولك « وربك الغفور ذو الرحمة » فالتفت رجاء المغفرة والرحمة ، فلما بلغت نصف الطريق ذكرت قولك :

« ومن يغفر الذنوب الا الله » ، فتقوى رجائى فالتفت ، فلما بلغت ثلثى الطريق ذكرت قولك : « قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله » فازددت رجاء . طمعاً فى مغفرتك ورحمتك ! فيقول الله تعالى : اذهب فقد غفرت لك .

وقوله تعالى :

« ومن يعمل سوءاً أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفوراً
رحيماً » .

(١) غير مقروءة فى النسختين .

فيه اشارة إلى قبول توبة المشايخ الذين استغرقوا عمرهم وشبابهم في الزلات والخطيئات ، ثم تابوا قبل المات في آخر عمرهم لأن كلمة ثم للتراخي ، وفيه لطيفة^(٢) أخرى وهى أنك عصيته فعلا ثم أطعته قولاً فرضى بذلك ، ولطيفة أخرى وهى أنك طلبت المغفرة فوجدت ، الله جل جلاله ، قال عز من قائل :

« ثم يستغفر الله يجد الله غفوراً رحيماً » •

وليس العجب من السارة إذ^(٣) طلبوا ماء فوجدوا يوسف ، إنما العجب من عاص طلب المغفرة فوجد الله تعالى •

وقيل إن رجلاً كان يقول إلهى أبطأت ! إلهى أبطأت ! فهتف به هاتف لم تبطئ إنما أبطأ من مات ولم يتب •

وجاء فى بعض الأخبار أن رجلاً فى الزمن الأول قتل تسعة وتسعين رجلاً بغير حق ، وجاء إلى بعض العلماء فقال ما تقول فيمن قتل تسعة وتسعين رجلاً بغير حق ؟

فقال العالم : إنه فى النار •

فغضب وقتل العالم ، ثم إنه بعد مدة ندم فجاء إلى عالم آخر ، وقال له :

ما تقول فيمن قتل مائة رجل بغير حق ثم تاب ، فهل يقبل الله تعالى توبته ؟ فقال : نعم • فقال : أنا ذلك الرجل • • فما تأمرنى به ؟

فقال العالم : بسبيلك أن تمضى إلى البلد الفلانية فإن الله تعالى

(٢) يقصد بها المعنى الخفى المستنبط من ظاهر النص ، وللتشعير تفسير كامل فى هذا الاتجاه اسمه « لطائف الاشارات » •
(٣) هكذا فى س ووجدناها اكثر ملائمة من (اذا) فى • •

بقبل توبتك هناك • ومضى الرجل فمات في الطريق ، فتخاصم ملائكة الرحمة وملائكة العذاب في قبض روحه ، فبعث الله ملكاً وقال : إمسح الأرض التي قطعها إلى الموضع الذي بلغه ، والتي بقيت ، وانظر إلى البلدين أيهما أقرب ، فنظر الملك فوجدته إلى أرض التوبة أقرب بشبر ، فأمر الله عز وجل به إلى الجنة^(٤) •

(٤) ليس بمستبعد أن تكون مثل هذه القصص من وضع القشيري ، أراد بها صياغة نوع من الرمز يحقق هدفاً تعليمياً .
(انظر كتابنا النزعة الأدبية عند الإمام القشيري) •

فصل

في معنى « القهار »

من أسمائه سبحانه وتعالى القاهر والقهار وكلاهما في القرآن •
والقهار من صفات الذات وهو مبالغة من القاهر ، وقيل هو من صفات
الفعل معناه القاهر الذي يحصل مراده من خلقه شاءوا أو أبوا ، رضوا
أم كرهوا • واعلم أن الله سبحانه وتعالى قهر نفوس العابدين بخوف
عقوبته ، وقلوب العارفين بسطوة قربته ، وأرواح المحبين بكشف حقيقته ،
فالعابد بلا نفس لاستيلاء سلطان أفعاله عليه ، والعارف بلا قلب لاستيلاء
سلطان اقباله عليه ، والمحِب بلا روح لاستيلاء كشف جماله وجلاله عليه •

واعلم أنه سبحانه وتعالى قهر جميع عباده بالموت فلم ينج منه ملك
مقرب ، ولا نبي مرسل ، طاحت عنده صولة المخلوقين ، وقوى الخلائق
أجمعين ، ويقال ان الله تعالى يذيق ملك الموت طعم الموت فيقول عند نزع
روحه : وعزتك لو علمت أن طعم الموت يكون مثل هذا لما قبضت روح
أحد ، ولهذا المعنى من القهر يقول إذا قبض أرواح الخلائق أجمعين :
« إن الملك اليوم لله الواحد القهار » •

فصل

في معنى « الوهاب »

من أسمائه عز وجل الوهاب والوهاب ، والواهب المعطى والوهاب مبالغة منه ، وهى من صفات الفعل ، فالله تعالى كثير اللطف والإقبال ، عظيم المن والنوال ، يعطى قبل السؤال ، ويسبغ خصائص الجود والأفضال • وقيل ان موسى عليه السلام قال : يارب إنى أرى فى التوراة أمة قناديلهم فى صدورهم من هم فقال : هم أمة محمد ، ولم يزل موسى عليه السلام يعد صفاتهم الجميلة المذكورة فى التوراة ، والله تعالى يقول : هم أمة محمد ، حتى اشتاق موسى عليه السلام إلى لقاءهم ، فقال له : إنك لا تراهم ولكن إن شئت أسمعك أصواتهم ، ثم نادى الله تعالى أمة محمد وهم فى أصلاب آبائهم ، فقالوا : لبيك ربنا فقال : يا أمة محمد ، أعطيتكم قبل أن تسألونى ، وغفرت لكم قبل أن تستغفرونى •

حكى أن الشبلى رحمه الله سأل بعض أصحاب أبى على الثقفى فقال :

أى اسم من أسمائه سبحانه وتعالى يجرى على لسان أبى على أكثر ؟

فقال : اسم الوهاب •

فقال الشبلى : لذلك كثر ماله •

وحكى عن بعضهم أنه قال : رأيت شيخاً أعرابياً عرياناً فى الطواف وهو يقول :

أما تستحى يا خالق الخلق كلهم أناجيك عريانا وأنت كريم وترزق أبناء الخنازير كلهم وتتركنى شيخاً أبوه تميم

فقلت له : ألا تعلم أن الله تعالى لا يخاطب بمثل هذا ؟

فقال : إليك عنى ، فإنى أعلم به منك ، ومضى ، ثم جاء بعد ساعة وعليه جبة خز ، وهو يتبختر فيها ، فلما رأى قال :

• ألم أقل لك أنا أعلم به منك ؟ عاتبتة فأعطاني جبة خز •

ومن آداب من عرف أنه الوهاب ألا يرفع حوائجه إلا إليه ، ولا يتوكل في جميع أموره إلا عليه •

فصل

في معنى « الرزاق »

مبالغة من الرازق وهو معطى الرزق ، والرزق كل ما يمكن أن ينتفع به في ذاته ، وقيل ما كان معداً للانتفاع به مهياً له .

- قيل لبعضهم : من أين تأكل يا فلان ؟
- فقال : منذ عرفت خالقي ما شككت في رازقي .
- وقال رجل لحاتم الأصم : من أين تأكل ؟
- فقال : يكفي علمك الخبز من السماء .
- وقيل لبعضهم من أين تأكل ؟

• فقال : من خزانة ملك لا يدخلها اللصوص ، ولا يأكلها السوس .
واعلم أن الله سبحانه وتعالى خص الأغنياء بوجود الرزاق ، وخص الفقراء بشهود الرزاق ، فمن سعد بشهود الرزاق لم يضره ما فاتته من وجود الرزاق ، ومن عرف أنه الرزاق أرجع إليه جليل الرزق ودقيقة لأنه يعلم أنه لا شريك له في رزقه كما لا شريك له في خلقه . وحكى أن موسى عليه السلام قال يوماً في مناجاته : إلهي ... إني أتعرض لى الحاجة الصغيرة أحياناً فأسألها منك أم أطلبها من غيرك ؟

- فقال له : لا تسأل غيري واسألني حتى ملح عجينك ، وعلف شاتك .
- فلما قال له ذلك طلب منه الكثير والقليل ، فقال : رب أرني أنظر إليك » ،
- وقال مرة أخرى : « رب إني لما أنزلت إلي من خير فقير » .

حكى أن الشبلي رحمه الله كتب إلى بعض الأغنياء أن ابعث لنا من دنياك ، فقال : أسأل الدنيا من مولاك ، فقال الشبلي : الدنيا حقيرة وأنت حقير ، وإنما أطلب الحقير من الحقير ، ولا أطلب من مولاى غير مولاى .
واعلم أنه يرزق الأرواح والسرائر كما يرزق الأشباح والظواهر ، ورزقها المعارف والكشوفات ، يوسعها على قوم ، ويضييقها على قوم آخرين كما يشاء ويختار ، من غير علة كما في أرزاق الأبدان .

فصل

في معنى « الفتح »

الفتاح والفتح من اسماء ، وكلاهما في القرآن والفتح مبالغة منه ، والفتح هو القاضي والحاكم في لغة العرب لأنه يفتح بخصائه ما انحن من الخصومة ، والله تعالى فتاح لأنه يفتح على عباده ما انغلق عليهم من أبواب الرزق وغيره مما قصرت حيلهم عن فتحه ، ومنه قوله تعالى :

« ففتحنا عليهم كل شيء » •

فمن علم أنه الفتح للأبواب وللأسباب لم يثقل فكره بغيره ولم يستغل قلبه بسواه ، فيعيش معه بحسن الانتظار كلما ازداد بلاء ازداد بربه ثقة ورجاء كيغثوب عليه السلام قال لبنيه بعد ما طال الأمر (١) ، وتمادت الغيبة ، ورجعوا إليه خائبين غير مرة : « يا بني اذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه ، ولا تيأسوا من روح الله انه لا يياس من روح الله إلا القوم الكافرون » •

وحكى عن بعض الفقراء أنه كان يأتي كل يوم ويقف بجذاء الكعبة بعدما يطوف كثيراً ثم يخرج من جيبه رقعة ينظر فيها ، فلما كان في بعض الأيام ذلك ثم تباعد ومات فجاء بعض من كان يرمقه ، فأخرج الورقة وقرأ ما فيها فإذا فيها : « واصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا » ، وكان الرجل قد أصابته شاقة فصبر ، ولم يظهر حاله لخلق حتى مات •

ومن آداب من علم أنه الفتح أن يكون حسن الانتظار لوجود لطنة ، دائم الترقب لحصول فضله ، مستديم التطلع لنبييل كرمه ، تاركاً للاستعجال ، ساكناً تحت جريان الحكم علماً منه أنه لا يقدم ما حكم بتأخيره ولا يؤخر ما حكم بتقديمه • وحكى أن رجلاً كان يؤذن لعلی

(١) هكذا في « وهى في س (الأمد) والمعنى يتقبلهما ، أما « بر غيبة يوسف

رضى الله عنه في مسجده ، وكانت تخرج من دار على رضى الله عنه
جارية تستسقى الماء بكرة ، وكان المؤذن يقول لها كل يوم : إني أحبك •
فشكت يوماً إلى على رضى الله عنه قائلة :

إن هذا المؤذن يقول لى كل يوم إني أحبك ، فقال على : قولى له :
وأنا أيضاً أحبك •• فما بعد هذا ؟

فقالت الجارية له ذلك ، فقال : بعد هذا نصبر حتى يحكم الله بيننا •
فذكرت ذلك إلى على ، فدعاه ، وسأله عن القصة فأخبره بالصدق ، فقال
له على : احملها إلى بيتك جارية لك فقد حكم الله بينكما •

فصل

في معنى « التعليم »

العالم والتعليم والعلام من أسمائه سبحانه وتعالى ، والتوقيف في أسمائه معتبر ، فلا يسمى إلا بما ورد به الكتاب أو السنة وأنعقد عليه اجماع الأمة ، ولهذا لا يسمى عارفاً ، ولا فطناً ، ولا عاقلاً •

ومن آداب من تحقق أنه عالم أن يكون مكتفياً بعلمه عند جريان حكمه • ساكناً عن تدبير نفسه بتقديره ، ولهذا لما تعرض جبرائيل للخليل عليه (١) • السلام وهو في الهواء بعد خروجه من كفة المنجنيق ، وقال له :

هل لك من حاجة ؟ • فقال : أما إليك فلا •

فقال له : فاسأل الله تعالى •

فقال : حسبى من سؤالى علمه بحالى •

وحكى أن رجلاً قال لبعض العارفين : أيتطلب العبد رزقه ؟

فقال : إن علم أين هو فليطلبه •

فقال : أيسأل الله تعالى رزقه ؟

فقال : إن علم أنه نسبه فليذكره •

ومن آداب من علم أنه سبحانه وتعالى عالم بكل شيء حتى بخطوات (٢) الضمائر ، ووسواس الخاطر أن يستحيى منه ، ويكف عن معاصيه ، ولا يفتقر بجميل ستره ، ويخشى بغتات (٣) قهره ، ومفاجآت مكره •

(١) في م (عليهما) •

(٢) في م (بخطوات) والأصح (بخطرات) كما في س خصوصاً إذا رأينا التضمير في رسالته يعرف الخطرات بأنها خطاب يرد على الضمائر ، فإسناد : إنما توتقة حسب الاصطلاح (الرسالة ص ٤٦) •

(٣) في م (بغتات) وهو لا يوافق الصنى •

قال تعالى :

« يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله وهو معهم » •

وفي بعض الكتب السماوية :

« إن لم تعلموا أنى أراكم فالتخلل في إيمانكم ، وإن علمتم أنى أراكم فلا تجعلوني أهون الناظرين إليكم » •

ومن آدابه أيضاً ألا يتعرض لمخلوق فيما يحتاج إليه من مطالبته اكتفاء بعلمه ، فإن من^(٤) سكن قلبه إلى مخلوق عوقب في الحال ، إن كان له عند الله قدر • وحكى عن بعضهم أنه قال : كنت جائعاً فقلت لبعض معارفى : إنى جائع فلم يطعمنى شيئاً ، فمضيت فوجدت درهما ملقى في الطريق فرفعته فإذا عليه مكتوب : « أما كان الله جل جلاله عالماً بجوعك حتى طلبت من غيره ؟! » •

وحكى عن أبى سعيد الخراز أنه قال : خرجت من البادية وكنت جائعاً ، فدخلت الكوفة ، وكان لى بها صديق يقال له الجرارى ، وكان يضيفنى إذا دخلت الكوفة ، فأتيت حانوته ، فوجدته غائباً ، فدخلت مسجداً بقرب حانوته أنتظر رجوعه ، وقلت : بسم الله الرحمن الرحيم والحمد لله رب العالمين وسلام علينا وعلى عباد الله المتوكلين ، وقعت أنتظره ، فدخل داخل وقال :

الحمد لله رب العالمين ، سبحان من أخلى الأرض من المتوكلين ، وسلام علينا وعلى جميع الكذابين ••• يا أبا سعيد مدعياً التوكل •• التوكل فى الصحارى والبرارى وليس فى الجلوس على البوارى وانتظار الجرارى •

قال : فالتفت •• فلم أر أحداً •

(٤) فى • (فان ما سكن ••) •

وهكذا سنة الله جل جلاله مع خواص عباده ، لا يساعدهم في
خطرة ، ولا يتجاوز عنهم في لحظة ، بل يطالبهم بالكبير والصغير ،
ويحاسبهم^(٥) في النقيير والقطمير ، وأما الذين رتبهم خسيصة ، وقيمتهم
قليلة ، فيذرهم بإمهاله يغترون ، وفي غفلاتهم ينهكون ، حتى يأخذهم
بغته وهم لا يشعرون نعوذ بالله من مكر الله •

(٥) في م (ويضايقتهم) •

فصل

في معنى « القابض الباسط »

من أسماء الله تعالى نطق بهما الكتاب والسنة ، وهما من صفات فعله ، معناه قابض الأرواح عن الأشباح عند الموت ، وباسط الأرواح في الأشباح عند الحياة •

وقيل معناه قابض الصدقات من الأغنياء أي قابلهما ، وباسط الأرزاق للفقراء أي معطيها واهبها •

وقيل معناه قابض القلوب أي مضيقها وموحشها بالجهل والنحلة وباسط القلوب أي مرسعها بالعلم والمعرفة •

واعلم أن القبض والبسط في اصطلاح أهل المعرفة عبارة عن عبية الخوف والرجاء على القلب ، فمن غلب على قلبه الخوف كان من أهل القبض ، ومن غلب على قلبه الرجاء كان من أهل البسط ، فإذا كاشف الحق^(١) عبداً بنعت جلاله قبضه ، وإذا كاشفه بنعت جماله بسطه •

واعلم أن الله تعالى يرد العبد إلى أحوال بشريته فيقبضه حتى لا يطيع حمل ذرة ، ويأخذه مرة عن صفاته فيجمل كل ما يرد عليه بقوة وطاقة ، وحكى عن بعضهم قال : كنت مع الخواص^(٢) في سفر فنزلنا تحت شجرة فجاء أسد وربض بقربنا ، ففزعت فزعاً شديداً ، وصعدت إلى الشجرة ، وقعدت على غصن إلى الصباح من خوف الأسد ، ونام الخواص

(١) هكذا في س ، أما في منهي (الحباة) وبها لا يستقيم المعنى •

(٢) الخواص هو إبراهيم بن أحمد اسماعيل ، أحد من سلك طريق التوكل ، وكان أوحى المشايخ في وقته ، ومن أقران الجنيد والذوري ، وله في السياحات والرياضات مقامات يطول شرحها توفي سنة ٢٩١ هـ من أقواله : من لم تبك الدنيا عليه لم تضحك الآخرة له — ليكن لك قلب ساكن ، وكيف فارغة ، وتذهب النفس حيث شئت — على قدر اعزاز المؤمن لأمر الله يليسه الله من عزه ويقيم له الميز في قلوب المؤمنين (طبقات السامي) •

تحت الشجرة ولم يحتفل بالأسد ، فلما كانت الليلة الثانية نزلنا في مسجد
فنام الخواص ، فوقعت على وجهه بقعة فضج • فقلت له : هذا عجب !!
البارحة ما جزعت من الأسد والليلة جزعت من بقعة ؟ !

فقال : البارحة كنت مأخوذاً عنى ، والليلة أنا مردود إلى •• فلهذا
جزعت •

وحكى عن الشافعى رضى الله عنه قال : من عرف الله تعالى حمل
السموات والأرضين على شعرة من جفن عينه ، ومن لم يعرف الله جل
جلاله لم تعلق به جناح بعوضة لفسج • فحمل هذا منه على حالتي القبض
والبسط •

وقال بعضهم : إن الله تعالى إذا قبض قبض حتى لا طاقة ، وإذا
بسط بسط حتى لا فاقة •

وكان الشيخ أبو على الدقاق يقول : القبض حق الله من العبد ،
والبسط حظ العبد من الله تعالى ، ولأن يكون العبد لحق الله منه أتم من
يكون قائماً بحظه من الله تعالى ، وينبغي للعبد أن يتجنب المضجر في وقت
قبضه ، ويتجنب ترك الأدب في وقت بسطه ، فإن كل واحد من الأمرين
خطر عظيم •

فصل

في معنى « الخافض الرافع »

اسمان من أسمائه سبحانه وتعالى ورد بهما الخبر ، وإنما من صفات فعله ، يرفع من يشاء بإنعامه ، ويخفض من يشاء بانتقامه • قيل : من رضى بدون قدره رفعه الله فوق عايته •

حكى أن رجلاً رأى إنساناً واقفاً في الهواء فقال له : كيف بلغت هذه المنزلة ؟

فقال : جعلت هوى نفسى تحت قدمى ، فسخر لى الهواء •

واعلم أن الرفع والخفض في الأمور الدنيوية مجاز وفي الأمور الدينية — كالأخلاق والصفات الباطنة — حقيقة^(١) • فمن زكى نفسه ، وطهر خلاله ، فهو المرفوع حقيقة ، ومن دس نفسه في دنس خلاله ، وأسرتهمه شهواته وهواه المخدول المخفوس^(٢) حقيقة •

حكى أن امرأة (كانت) تكنس المساجد ، وكانت تسمى مسكينة ، فرؤيت في المنام فقيل لها : ما حالك يا مسكينة ؟

فألت : هيهات • ذهبت المسكينة !

واعلم أن من تذلل لله في الدنيا رفعه الله في الآخرة •

قال الله تعالى :

« وإذا رأيت ثم رأيت نعيماً وملكاً كبيراً » •

(١) الرفع والخفض والمجاز والحقيقة — هذه الألفاظ ذكرنا بمصطلحات النحو والبلاغة ، وينبغي أن نتذكر أن التشيرى حاول في أحد كتبه « نحو القلوب » أن يستخدم القواعد المنوطة في النحو على التصوف أو أن يستخدم التصوف في علم النحو ، وهى محاولة شائعة (انظر كتابنا : الألفاظ التي تشيرى وتصوفه) •

(٢) في م (المحفوظ) •

جاء في التفسير أن معنى ملكاً كبيراً أن الله تعالى يرسل ملكاً إلى وليه بكتاب ، ويقول له : إستمأذن على عبدى فإن أذن لك فادخل ، وإلا فارجع • فيستأذن عليه من سبعين حاجباً ، فيأذن له ، فيدخل عليه وبعطيه كتاب الله تعالى وعلى عنوانه مكتوب : من الحى الذى لا يموت إلى الحى الذى يموت ، فيفتحه فيجد فيه مكتوباً : يا عبدى • • إشتقت إليك فزرنى ، فيقول : هل جئت بالبراق ؟

فيقول الملك : نعم • • فيركبه ولى الله ، فيغلب الشميق على قلبه ، فيحمله شوقه ويطير به حتى يوصله إلى بساط اللقاء ، ويبقى البراق فى الطريق •

وأما الذى يخفض^(٣) به فهو فى الآخرة أذل من التراب ، تطؤه الأقدام •

قال الله تعالى :

« فلا نقيم لهم يوم القيامة وزناً » •

(٣) فى • (يحفظ) •

فصل

في معنى « المعز المذل »

من صفات فعله سبحانه وتعالى وذلك يكون في الدنيا والآخرة ،
كما مر في الخافض والرافع ، فعز الدنيى بالمال والحال ، فأنال لتزوين
الظاهر ، والحال لتزوين الباطن ، فيعز الزاهد بعزوف^(١) نفسه عن الدنيا ،
وبعز العابد بسلامة نفسه عن اتباع الهوى ، وعن الرغائب والمنى^(٢) ،
وبعز المرید بزهده في صحبة الورى ، وانقطاعه إلى باب المولى ، ويعز
العارف بتأهيله لمقامات النجوى ويعز المحب بالكشف والبقاء والفنا^(٣)
عن كل ما هو غير وسوى ، ويعز الموحد بشهود جلال من له البهاء
والبقاء^(٤) .

واعلم أن أصل إعزاز الحق لعباده يكون بالقناعة ، فإن كل الذل
في الطمع ، ألا ترى أن البازى أو^(٥) العقاب يطير في فضاء عزه حتى
ينتهى إلى محل لا يرتقى إليه طرف ، ولا تسمو إليه همة ، فيرى قطعه
لحم على شبكة فينزله الطمع إليها ، فيعلق بالشبكة ، فيصيده صبي ثم
يلعب به ، أو يسخر به عبد . فلولاً الأطماع الكاذبة لما استبعد الأحرار
كل شيء لا خطر له ، ولهذا قيل :

وخير رداء يرتديه ابن حرة سلامة عرض لم يدنس بمطمع

قيل أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام : حذر أصحابك أكل
الشهوات فإن القلوب المعلقة بشهوات الدنيا محجوبة عنى ، وحكى عن

(١) مشتبهة في م ، وربما كان من الخير أن تعدل الدنيا الى الدنى حتى
نتفق الفاصلة .

(٢) وردت (المن) في م وهى خطأ في النسخ .

(٣) وردت في م (واللقاء والغنا) وهى خطأ في النسخ .

(٤) وردت في م (واللقاء) وهى خطأ في النسخ .

(٥) آثرنا او بدلا من (الواو) الموجودة في م ، س لأن الفعل جاء مفرداً
بعدهما .

بعض المشايخ أنه دخل على تلميذ له ، فقدم إليه خبزاً قفراً ، ولم يكن عنده إدام ، فتمنى بقلبه لو كان عنده إدام لقدمه إلى الشيخ ، فقام الشيخ وقال له : تعال معي •• وذهب به إلى باب السجن فرأى الناس ، واحد يضرب ، وآخر يصلب ، وآخر تقطع يده ، وآخر يعصر ، وقال له :

هؤلاء الذين لم يصبروا على خبز القفار •

وحكى أن شيخاً حضر باب أمير فرأى الناس محجوبين عنه إلا خادماً له فإنه كان يدخل بلا حجاب ، فسأل عنه فقيل له : إنه يدخل على الأمير وعلى حرمة أيضاً ، متى شاء بغير حجاب ، فقال له :

ولم ذلك ؟

فقال : لأنه مفقود آلة الشهوة •

فقال الشيخ : سبحان من وعظني بعد سبعين سنة ، يحضني (أن) من أراد الدخول على مولاه بغير حجاب فعليه بترك الشهوات •

قال المشايخ : ما أعز الله عبداً بمثل ما يدلّه على ذل نفسه ، وما أذل عبداً بمثل ما يردّه إلى توهم عزه • قيل في قوله تعالى :

« وتعز من تشاء وتذل من تشاء » •

تعز من تشاء بأن يكون لك بك معك بين يديك ، وتذل من تشاء بأن يكون في أسر نفسه ، وغطاء شهواته ، وسجن أمانيه فيصبح محجوباً ، وبمسي محروماً ••• نعوذ بالله من ذلك •

فصل

في معنى : « أسمع البصر »

سمعه وبصره سبحانه وتعالى إلى هاتين له زائدتان على علمه خلافاً
للقدرية ، وهما إدراك آخر أن شيئاً يخرج مسموع عن سماعه ،
ولا موجود عن بصره ، ولا يحجبهما شيء ، فيسمع السر والنجوى ،
وبصر ما تحت الثرى •

فمن عرف أنه بهذه الصفة كان من أدبه دوام المراقبة ، ومطالبة
الغنى بدقيق المحاسبة •

حكى أن بعض الملوك كان له عبد يقبل عليه أكثر مما يقبل على
أمثاله ، ولم يكن أحسن منهم سورة ، ولا أكثر منهم قيمة ، فكانوا
يتعجبون من ذلك ، فركب الملك يوماً إلى الصحراء ومعه أصحابه وعبيده ،
ونظر إلى جبل بعيد عليه قطعة ثلج نظرة واحدة ثم أطرق • فركض ذلك
العبد بفرسه قبل أن ينظر الملك إليه ، ولم يعلم الجماعة بشيء ، وما لبث
إلا ساعة حتى عاد ومعه شيء من الثلج •

ف قيل له : بم عرفت أن الملك أراد الثلج ؟

فقال : لأنه نظر إلى الجبل ، ونظر الملوك إلى شيء لا يكون عبثاً •
فقال الملك : أنا أقرب ، وأقدمه عليكم ، فإنكم مشغولون بأنفسكم ،
وهو مشغول بمراقبة أحوالي •

ومن حفظ سماعه وبصره لله تعالى عما لا يحل سماعه ورؤيته أحبه ،
فكان له سمعاً وبصراً ، فيه يسمع ، وبه يبصر كما جاء في الخبر المشهور •
وحكى عن سهل بن عبد الله أنه (قال) (١) : مذ كذا سنة (و) أنا
أخاطب الحق سبحانه وتعالى والناس يتوهمون أنني أخاطبهم •

(١) ناقصة في •

واعلم أن العبد إذا علم أن مولاه يسع ما يقال ، ويرى به الأحوال ، فإنه يكتفى بسمعه وبصره عن انتقامه وانتصاره ، فإن نصرته الحق نه أتم لنفسه ، قال الله عز وجل لنبيه عليه السلام :

• « ولقد نعلم أنك يصيب صدرك بما يقولون »

ثم انظر بماذا سلاه ! وبأي شيء خفف عليه حمل انتقال الازدي ؟
حيث قال :

• « فسبح بحمد ربك »

يعنى إذا تأذيت بسماع السوء فيك منهم فاستروح بروح ثنائك علينا ، ولذة التنزيه والذكر لنا فإن ذلك يريحك ويشغلك عنهم ، ثم إنه عليه السلام لما قبل هذه النصيحة ، وامتنل لأمر ربه ، تولى نصرته والرد عنه ، فلما قيل إنه مجنون أقسم على نفى ذلك بقوله :

• « ن واللقم وما يسطرون »

تخفيفاً لتنزيهه لما اشتغل عنهم بتنزيه ربه • ثم عاب الله تعالى القادح فيه بالجنون بعشر خصال ذميمة بقوله :

• « ولا تطع كل حلاف مهين »

إلى قوله :

• « مساطير الأولين »

وكان رد الله تعالى عنه ، وذمه لهم ، أتم من رده عن نفسه حيث كان من جملة القرآن باقياً على الألسنة إلى يوم القيامة •

فصل

في معنى « الحكم العدل »

الحكم هو الحاكم المحكم ، وحكمه (...)^(١) عن الشيء على وصف فيكون ذلك من صفات ذاته ، ويكون حكمه أيضاً على عباده بشيء بمعنى خلقه ذلك الشيء على الوجه الذي يريد ، يقال : حكم لفلان بالنعمة أى أنعم عليه ، وحكم على فلان بالمصيبة إذا خلق له البلاء ، فيكون على هذا من صفات الفعل •

والعدل من صفات ذاته بمعنى أن له أن يفعل فى ملكه ما يريد ، وجميع الخلائق بعض ملكه فيفعل فيهم ما يريد •

فمن عرف أنه العدل لم يستقبح بقلبه موجوداً ، ولم يستثقل منه حكماً بل يستقبل حكمه بالرضا ، ويصبر تحت البلاء بغير شكوى لعلمه أنه عدل ، قال أبو عثمان المغربي^(٢) قلوب العارفين فارغة لمفاجآت القدر •

واعلم أن الله تعالى حكم فى الأزل بما شاء ، فمن حكم له بالسعادة يسعد أبداً ، ومن حكم عليه بالشقاوة لا يسعد أبداً ، ولهذا قيل من أقصته السوابق لم تدنه الوسائل ، ومن أقعده جده لم ينفعه كده •

واعلم أن الناس على أربعة أقسام : أصحاب السوابق وهم الذين تكون فكرتهم أبداً فيما سبق لهم من الله تعالى ليعلمهم أن الحكم الأزل لا يتغير باكتساب العبيد ، وأصحاب العواقب وهم الذين يفكرون أبداً فيما يختتم به أمرهم ، فإن الأمور بخواتيمها ، والعاقبة مستورة ، ولهذا قيل : لا يغرنكم صفاء الأوقات ، فإن تحته غوامض الآفات ، وأصحاب الوقت وهم الذين لا يفكرون فى السوابق وفى العواقب بل يشتغلون

(١) مشبهة فى •

(٢) أبو عثمان سعيد بن سلام المغربى أوجت عصره صاحب ابن الكتب والزجاجى مات بنيسابور سنة ٣٧٣ •

بمراعاة الوقت ، وبما^(٣) كلفوا من أحكامه • ولهذا قيل : العارف ابن وقته ، وقيل ، الصوفي من لا ماضى له ولا مستقبل • وقيل إن بعض أفقراء رأى أبا بكر الصديق رضى الله عنه فى النوم فقال له : أوصنى •

فقال : كن ابن وقتك •

والقسم الرابع الذين الغلب عليهم ذكر الحق فهم مشغولون بشهود الحق عن مراعاة جميع الأوقات • وقال الجنيد^(٤) رحمه الله دخلت على السرى^(٥) يوماً فقلت له : كيف أصبحت ؟

فقال : ليس عند الله صباح ولا مساء •

أشار بذلك إلى أنه غير مطلع على الأوقات بل مستغرق فى شهود^(٦) الموقت وقيل فى معناه :

لا كنت إن كنت أدرى كيف كنت ولا أكون إن كنت أدرى كيف لم أكن
يا من به صرت بين البث والحزن

وربما يزيد هذا الوصف ويغلب حتى يفتى العبد عن كل إحساس ، وعن فئائه أيضاً كما فى قوله تعالى :

« وتحسبهم أيقاظاً وهم رقود » •

(٣) فى م (واذا ما كلفوا) وهى غير مقبولة •
(٤) هو أبو القاسم الجنيد بن محمد سيد الطائفة وإمامهم ، أصله من نهبوند ومنشؤه ومولده بالعراق ، وكان فقيهاً على مذهب ثور صاحب السرى والحاسم والتساب ومات سنة ٢٩٧ هـ ، وقد ذكر القشيرى فى رسالته جسة من أقوال الجنيد تدل على عظيم فضله وغازاة معرفته •
(٥) السرى السقطى خال الجنيد وأستاذه وتلميذ معروف الكرخى كان أرحم زمانه فى الزرع وأحوال السنة وعلوم التوحيد مات سنة ٢٥١ هـ (طبقات السلمى) •
(٦) فى م (مستغرق بشهود) •

وحكى ان رجلاً دق الباب على أبى يزيد فقال له^(١) : إيش تريد ؟

فقال : أبأ يزيد فقال : ليس فى البيت أبو يزيد !!

وحكى أن رجلاً قال للشبلى : أين الشبلى ؟

فقال : مات لا رحمه الله !

وقيل إن ذا النون المصرى بعث رجلاً إلى بسطام يتعرف أحوال
أبى يزيد ويجيئه بها ، فذهب إليه فوجده فى المسجد فسلم عليه فقال له :

إيش تريد ؟

فقال : أبأ يزيد •

فقال له : أين أبو يزيد ؟ أنا أيضاً فى طلب أبى يزيد !

فقال فى نفسه : هذا مجنون ، ضاع سفرى !

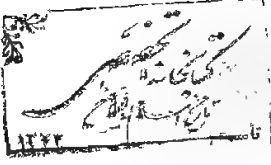
فلما رجع إلى ذى النون ووصف له ما رأى وسمع بكى ذو النون ،
وقال : أخى أبو يزيد ذهب فى الذاهبين فى الله جل جلاله •

وقال أبو على الدقاق فى قوله تعالى عن إبراهيم عليه السلام :

« إني ذاهب إلى رب فيهدىني » •

كان ذاهباً فى الله فلهذا ذهب إلى الله ، فذهابه فى الله أوجب ذهابه
إلى الله •• واعلم أن هذه الألفاظ توهم ظاهرها لمن لم يمارس علوم هذه
الطائفة ، وأما من عرف حقائق الأصول ، وشتم شيئاً من علومهم فإنه
يقف على معانيها ، ويفهم مروموزهم فيها ، وحاشا الأولياء العارفين أن
كلامهم يعترض فيه محقق •

(٧) فى • (فقيل له) وهى غير مقبولة .



فصل

في معنى « اللطيف »

اللطيف في اللغة له ثلاثة معان : أحدهما أن يكون عالماً بدقائق الأمور وغوامضها ومشكلاتها ، والثاني الشيء الصغير الدقيق وهو ضد الكثيف ، ومنه قيل لطف به فهو لطيف إذا رفق به ، وأوصل إليه منافع من حيث لا يعلم ولا يقدر على الوصول إلى ذلك بنفسه ، وهذه هو المعنى الثالث . فاللطيف بالمعنى الثاني في حقه مستحيل ، وبالمعنى الأول واجب وهو من صفات ذاته ، وبالمعنى الثالث وهو المحسن الموصل للمنافع برفق — ثابت ، وهو من صفات فعله .

وقوله تعالى :

• **« إِنَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ »**

يحتمل المعنيين : أن يكون عليماً بهم ، وبمواضع حوائجهم ، يرزق من يشاء ما يشاء كما يشاء ، ولطيف بهم يحسن إليهم ، ويتنزل عليهم ويرفق بهم . فإن حملت الآية على صفة الذات كانت تخويفاً ، لأنها تدل على أنه العليم بخفايا الآفات ، ودقائق المخالفات ، فتكون بمعنى .

قوله تعالى :

• **« يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ »**

فتوجب قبض العبد (حين) تذكره وصف الإطلاع (عليه) ، ولهذا قال بعض المشايخ : إن لكم من الآفات في الطاعات ما يقوم مقام ارتكاب المخالفات ، وإن المفلس حقاً من ظن أنه مؤسر ، ثم بان له إفلاسه عند تصفح ديوانه .

قيل : من لطفه سبحانه بعباده أنه أعطاهم من النعم فوق الكفاية ، وكلفهم دون الطاقة .

قال تعالى :

« وأسبغ عليكم نعمة ظاهرة وباطنة » •

ما يفضل عن قدر الحاجة ، وقال في صفة التكليف :

« وما جعل عليكم في الدين من حرج » •

ولهذا سهل على عبده الأمر حتى إنه فرض عليه خمس صلوات ، في اليوم والليلة ، ولم يكلفه أن يؤديها جملة واحدة • (بل رضى منه بأدائها)^(١) منجمة متفرقة ، وأعطاه من الرزق ما يكفيه لسنة أو لسنتين كثيرة وهو يشكو أو يتسخط •

ومن لطفه بعباده أنه يوصل إليهم ما يحتاجون إليه من غير تكلف مشقة تقتضيها تلك النعمة ، ومثاله من قوته رغيف ، يو فكر فيه لعلم كم عين سهرت فيه من أول الأمر حتى تم وصلاح للأكل ، من الحارث والباذر وساقى الزرع والحارس والحاصد والدارس والمذرى والطاحن والعاجن والخابز ، وتتشعب من ذلك الآلات التي تتوقف عليها هذه الأعمال من الأخشاب والحجارة والحديد والحبال والدواب بحيث يكاد لا ينحصر ، وهكذا كل شيء ينعم به على عبده من مطعوم ومشروب وملبوس ، فيه مقومات^(٢) كثيرة لو احتاج العبد إلى مباشرتها بنفسه لعجز عن ذلك •

ومن لطفه بهم أيضاً توفيقهم للعبادات والطاعات ، وحفظهم من الوقوع في المعاصي والزلات ، وحفظ التوحيد في قلوبهم ، وتثبيتهم على الإيمان ، وإبقاء المعرفة عليهم مع وجود الزلات — وهو أعجب من إخراج

(١) مشبهة في م ومقروءة في س •

(٢) في م (مقدمات) والمعنى يسيف هذه وتلك •

اللبن من بين فرث ودم ، ولكن سنة الله سبحانه حفظ كل لطيفة في طي كل كثيفة ، وصيانة الودائع في المواضع المجهولة .. ألا ترى أنه جعل التراب الكثيف معدن الذهب والفضة وغيرهما من الجواهر ، والصدف معدن الدر ، والذباب معدن الشهد ، والدود معدن الحرير ؟ وكذلك جعل قلب العبد محلاً ومعدناً لمعرفته ومحبته وهو مضغة لحم •

فصل

في معنى « الخير »

بمعنى العليم ، وهو من صفات ذاته عز وجل ، ويجوز أن يكون بمعنى المخبر أى فعيل بمعنى مفعول ، وكلا المعنيين صحيح في حقه سبحانه ، فمن عرف أنه خير بأحواله كان محترزاً في أقواله وأفعاله ، واثقاً بجميع اختياريه ، متحققاً أن ما قسم له لا يفوته ، وما لم يقسم له لا يدركه ، فيرى جميع الحوادث من الله سبحانه فتبهون عليه الأمور ، بخلاف من يضيف بعض الحوادث إلى الحق وبعضها إلى الخلق فإنه يكون أبداً في تعب •

وإذا عرف العبد أنه مطلع على سره ، عليم بخفى ما في صدره ، يكتفى من سؤاله برفع همته إليه ، واستحضار^(١) حاجته في قلبه من غير أن ينطق بلسانه •

حكى أن رجلاً جاء إلى أبي يزيد وقال : إن الناس قد احتاجوا إلى المطر فادع الله تعالى يرزقهم ذلك •

فقال أبو يزيد : يا فلان أصلح الميزاب ، ولم يتكلم بغير ذلك ، ولم يفرغ المأمور من إصلاح الميزاب حتى جاء المطر •

حكى أن رجلاً فكر يوماً وقال : عمرى كذا وكذا سنة ، يكون منها كذا وكذا شهراً ، يكون منها كذا وكذا يوماً ، فبلغ عمره من الأيام ألفاً كثيرة ، فقال : لو لم أعص الله تعالى كل يوم إلا معصية واحدة لكان في ديوان عملى كذا وكذا ألف معصية ، فكيف وإنى في كل يوم عملت كثيراً من المعاصى ، ثم صاح وفارق الدنيا •

(١) في « (واحضار) » •

فصل

في معنى « الحليم »

قليل الحلم تأخير العقوبة عن المستحق لها فيكون من صفات فعله يوصف به في الأزال^(١) ، وقال أهل الحق : حلمه إرادته تأخير العقوبة فهو من صفات ذاته لم يزل حليماً ولا يزال ، فيؤخر العقوبة عن بعض المستحقين ، ثم قد يعذبهم ، وقد يتجاوز عنهم ، ويعجل العقوبة لبعضهم ، فالأمر في ذلك على ما سبق به الحكم في الأزل ، وتعلقت به الإرادة والعلم .

حكى أن إبراهيم عليه السلام لما رأى ملكوت السموات والأرض رأى عاصياً في معصيته فقال اللهم أهلكه ، فأهلكه الله تعالى ، ثم رأى آخر فدعا عليه فأهلكه الله ، ثم رأى رابعاً فدعا عليه فأوحى الله تعالى إليه : قف يا إبراهيم فلو أهلكنا كل عاص رأيت^(٢) لم يبق من الخلق أحد ، ولكننا بحلمنا لا نعذبهم فيما أن يتوبوا ، وإما أن يصروا ، فلا يفوتنا شيء .

ومن حلمه أنه لا يستغفره إصرار العاصين ، ولا يحمله على سرعة الانتقام انهماك المؤمنين ، فيحلم حتى يظن الجاهل أنه ليس يعلم ، ويستتر حتى يتوهم العمى^(٣) أنه ليس يبصر .

(١) في م (لا يزال) .

(٢) في م (رأيناه) .

(٣) مشتبهة في م .

فصل

في معنى « العظيم »

معناه عند أهل التحقيق يرجع إلى استحقاقه لصفات العلو والمجد ورفعة القدر •

والعظيم بمعنى كبير الأجزاء ، وهذا محال في حقه عز وجل ومن صفات العلو استحقاقه وجوب القدم والوحدانية ، وانفراده بالقدرة على الإيجاد ، وشمول علمه لجميع المعلومات ، وشمول قدرته لجميع المقدورات ، وإدراك سمعه وبصره لجميع المسموعات والمرئيات ، واستغناؤه عن الأنصار والأعوان ، وتقديسه عن المكان والزمان ، وتنزه ذاته عن قبول الحدثان •

حكى أن بعض المشايخ سئل عن عظمته جل وعلا فقال : ما تقول فيمن عنده^(١) واحد اسمه جبرائيل له ستمائة جناح لو نشر منها جناحين لستر الخافقين • وهذا وإن كان صحيحاً فإن من عرف أن مقدوراته لا نهاية لها ، فلو أراد أن يخلق في طرفة عين الألف عالم لم يكن ذلك عليه بأشق من خلق بقعة ، ولا خلق البقعة بأهون عليه من خلق تلك العوالم — لم يستعظم خلق جبرائيل عليه السلام •

وفي بعض الأخبار أن ملكاً قال : يارب أريد أن أرى العرش فزد في قوتي حتى أطير لعل أدرك العرش ، فخلق الله له ثلاثين ألف جناح وطار ثلاثين ألف سنة فلم يقطع قائمة العرش ، فاستأذن في الرجوع إلى مكانه فأذن له •

وقيل إن سليمان عليه السلام سأل الله تعالى أن يضيف يوماً جميع الحيوانات فأذن له في ذلك ، فجمع الطعام مدة طويلة ، فأرسل الله حوتاً

(١) في • (عند) •

تأكل جميع ما جمعه ثم سأله الزيادة ، فقال له سليمان : أنت تأكل كل يوم مثل هذا ؟

فقال : كل يوم ثلاثة أضعاف هذا ، فليتك لم تضفنى ، ولا أداينى الله عليك •

وقيل إن موسى عليه السلام أراد أن يرى السمكة التى عندها العالم فأمره الله تعالى أن يأتى شط البحر ، فصعدت سمكة من البحر نحو السماء فلم تنزل تصعد ثلاثة أيام ولم تتفرغ • فقال موسى : إلهى • • شئ مثل هذا ! ؟

قال الله تعالى : إنها تأكل كل يوم آلافاً مثل هذه •
قال تعالى :

« وما يعلم جنود ربك إلا هو » •

ثم أعظم من ذلك كله مهمة العارفين التى تضيع وتتلاشى فيها كل (...) (٢) فضلاً عن المخلوقات •

(٢) مشبهة فى • وناقصة فى س •

فصل

في معنى « الغفور والشكور »

قد سبق الكلام في معنى المغفرة في اسم الغفار ، والشكور من أسمائه ورد به الكتاب ، وهو مبالغة من الشاكر ، والشاكر من له الشكر ، والشكر عند أهل التحقيق الاعتراف بالنعمة على سبيل الخضوع ، والله تعالى سمي نفسه شكوراً على معنى أنه يجازى العبد على أن يشكر ، سمي جزاء الشكر شكراً كما سمي جزاء السيئة سيئة في قوله تعالى :

« وجزاء سيئة سيئة مثلها » •

(قال الإمام القشيري رحمه الله)^(١) والذي اختاره وأرتضيه أن حقيقة الشكر الثناء على المحسن بذكر إحسانه فالله شكور بمعنى أنه كثير الثناء على عبده بذكر أفعاله الحسنة وطاعاته ، ومبالغة الشكر في وصفه بمعنى أنه يعطي الثواب الكثير على اليسير من الطاعة : من قولهم دابة شكور إذا أظهرت من السمن فوق ما تعطي من العلف ، ونبت شكور إذا كان يتغذى^(٢) بيسير من الماء •

حكى أن رجلاً رأى في المنام فقيلاً له : ما فعل الله بك ؟

فقال : أقامني بين يديه وقال خفتني كل ذلك الخوف أما علمت أنني كريم ؟ !

(ومن آداب)^(٣) من عرف أنه الشكور أن يجد في شكره ولا يفتر ، ويواظب على حمده ولا يقصر •

والشكر على أقسام : بالبدن وهو ألا تستعمل جوارحك في غير

(١) هذه زيادة في مـ أوردها الناسخ •

(٢) في مـ وردت (يتجذى) •

(٣) ناقصة في مـ •

طاعته : وشكر بالقلب وهو ألا تشغل قلبك بغير ذكره ومعرفته ، وشكر باللسان وهو ألا تستعمله في غير ثنائه ومدحه ، وشكر بالمال وهو ألا تنفقه في غير رضاه ومحبته •

وقيل الشكر هو ألا تستعين بنعمه على معاصيك • ومن أمارات الشكر الزيادة في النعمة •

قال الله تعالى :

« لئن شكرتم لأزيدنكم » •

قال بعض العارفين في معنى قوله :

« وقليل من عبادى الشكور » •

قليل من يشهد النعمة منى ، لأن حقيقة الشكر الغيبة عن شهود النعمة بشهود المنعم •

فصل

في معنى « العلى الكبير »

ليس علوه علو جهة ، ولا كبره بكبر جثة سبحانه عن ذلك — بل علوه استحقاقه لنعوت الجلال والكبرياء ، وبهذا التفسير لم يزل عالياً علياً • ولا يقال في وصفه بالكبير كبر يكبر ، ولا كبر يكبر •

ومن علوه وكبريائه أنه لا يزيده تعظيم العباد له وإجلالهم إياه شيئاً في علوه وكبريائه بل من وفقه لإجلاله وتعظيمه فقد أجله وعظمه بنوحياتهم (إلى ذلك) ، ومن عرف علوه وكبريائه تواضع وتذلل بين بين يديه ، وبين يدي الصالحين ، فعند ذلك يرفع الله قدره •

روى أن الله تعالى أوحى إلى موسى عليه السلام أن يأتى بالجبل ليكلمه ، فتناول كل جبل طمعاً في كونه محلاً للمناجاة ، وتضاغر طور سينا ، وقال :

متى أستحق أن أكون محلاً لقدم موسى عليه السلام في وقت المناجاة ، فأوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام أن إئت جبل سينا لتواضعه •

وحقيقة التواضع قبول الحق ممن قاله ، والتكبر جحود الحق • قال الله تعالى :

« وإذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالإثم » • وقال :

« إنهم كانوا إذا قيل لهم لا إله إلا الله يستكبرون » •

حكى أن رجلاً قال للملك بن فضول : اتق الله ، فالصق خده بالتراب وقال : سمعاً وطاعة •

فصل

في معنى « الحفيظ »

من أسمائه سبحانه وتعالى ورد به الكتاب ، وهو فعيل مبالغة من الحافظ فهو الحافظ لعباده في جميع الأحوال ، فهو الحافظ للسموات والأرض •

قال تعالى :

« ولا يئوده حفظهما وهو العلي العظيم » •

وقال :

« إن الله يمسك السموات والأرض أن تزولا » •

وهو حافظ القرآن عن التبديل والتغيير ، فإنه أنزل التوراة على موسى عليه السلام ، والله وكل حفظها إلى أمته فقال :

« بما استحفظوا من كتاب الله » •

فحرفوه وبدلوه ، وأنزل لنا القرآن على محمد ﷺ وضمن حفظه على أمته بقوله تعالى :

« إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون » •

فلا جرم أن الله تعالى عصم أمة محمد وغيرهم عن تبديل القرآن وتغييره ، فلو أخطأ مخطيء في حركة من حركات حروف القرآن أو سكون ، لأنكر عليه وخطأه ألوف من الصبيان فضلا عن القراء •

ومن حفظه سبحانه حفظه لقلوب أوصيائه على خلوص المعرفة من الأهواء المختلفة •

ومن حفظه خلقه ملائكة لحفظ بني آدم من البلاء والآفات •

قال تعالى :

« له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من امر الله » •

وقيل من حفظ (الله)^(١) جوارحه حفظ الله عليه قلبه ، ومن حفظ الله حقه حفظ الله عليه حظه • حكى أن لصاً دخل في حجرة رابعة^(٢) فسرقة ملاءتها وهي نائمة وقصد الخروج ، فخفى عليه الباب فوضعها ، وأبصر الباب هكذا مراراً ، فهتف به هاتف ضع الملاءة فإننا الحافظون لها ، فوضعها وانصرف •

ومن أعجب ما ورد في هذا الباب قصة أم موسى عليه السلام حين رجعت إلى الله بصدق التوكل انظر كيف ألهمها مذكره في قوله تعالى:

« وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه ... » الآية •

فربط على قلبها وحفظ لها ولدها ، وردة إليها •

(١) في م (الله) •

(٢) رابعة زاهدة مشهورة غنت في الحب الالهي اعذب الالحان ، ولدت وعاشت في البصرة ، وبدأت حياتها كما يذكر العطار في (تذكرة الأولياء نشر نيكلسون ط ص ٦١) عازفة على الناي ، ثم تابت بعد ذلك وسلكت طريق العبادة والزهادة ، وانتهى بها الأمر الى محبة الله حباً نقياً من كل غرض ، لا طمع فيه في ثواب ، ولا جزع فيه من عقاب ، ولها في هذا الحب اشعار جميلة رقيقة • واختلطت على بعض الباحثين أخبارها بأخبار أخريات يحملن نفس اسمها كرابعة الشامية •

فصل

في معنى « المقيت والمقتدر »

المقيت قيل الحفيظ ، وقيل معطى القوت من قاته وأقاته إذا أعطاه القوت ، وفي الحديث : (كفى المرء إثماً أن يضع من يقوت) ويروى (من يقيت) •

والله سبحانه جعل أقوات عباده وخلقه مختلفة ، فمنهم من جعل قوته الأضمة والأشربة على اختلاف أنواعها وأوصافها وهم الآدميون وغيرهم من الحيوان ، ومنهم من جعل قوته الطاعة والتسبيح ، وهم الملائكة ، ومنهم من جعل قوته المعانى والمعارف والعقل وهى الأرواح • وبالعقل نظام جميع المحاسن ، قيل إن جبرائيل عليه السلام جاء إلى آدم عليه السلام وقال إني أتيتك بثلاثة أشياء فاختر منها واحداً فقال : وما هى ؟ قال : العقل والدين والحياة • فقال : اخترت العقل ، فقال جبريل للدين والحياة : انصرفا ، فقد اختار العقل ، فقالا : إنا أمرنا أن نكون مع العقل حيث كان •

ولهذا قيل ما خلق الله شيئاً أشرف من العقل ولا أحسن منه ، ولم يعط أحد كمال العقل •

واعلم أن الله تعالى إذا شغل عبداً بطاعته قيص له من يقوم بخدمته ، وإذا شغله بمتابعة شهوته ، وتحصيل أمنيته — وكله إلى حوله وقوته ، ألا ترى إلى آدم عليه السلام كيف أقامه ، وصان من المحن أوقاته ، وكفاه كل شغل ، وأولاه كل بر ، فأسكنه جنته ، وقال له :

« إن لك ألا تجوع فيها ولا تعرى ، وأنت لا تطعم فيها ولا تضحى » •

فلما نسى عهده ، مال إلى شهواته فلقى ما لقى •

فصل

في معنى « الحسيب السكافي »

يقال أعطاني حتى أحسبني أى حتى قلت حسبي أى كفاني ، فيكون الحسيب المحسب كالأليم بمعنى المؤلم والوجيع بمعنى الموجد •

وإذا كان بمعنى المحاسب كان فعيلًا بمعنى مفاعل كأكيل بمعنى مؤاكل ، وشريب بمعنى مشارب ، وكذلك نديم وجبّيس وقعيد • وما أشبه ذلك •

وكفايته لعبده أن يكفيه في جميع أحواله وأشغاله ، وأجل الكفايات ألا يعطيه إرادة الأشياء ، فإن حفظه عن إرادة الأشياء أتم وأكمل من قضاء حاجاته بعد الإرادة ، فإذا علم العبد أنه كافيه لم يرفع حوائجه إلا إليه ، فهو سريع الإجابة لمن انقطع إليه ، وتوكل في جميع أحواله عليه ، لا سيما إذا كانت حاجته في حق الله محضاً ، لأنها إذا كانت في حظ نفسه ربما يتأخر قضاؤها • ومن علم أنه كافيه لا يستوحش من إغراض الخلق ، ولا يستأنس بقبولهم ، ثقة بأن الذي قسم له لا يفوته وإن أعرضوا ، والذي لم يقسم له لا يصل إليه وإن أقبلوا ، فإذا دام على هذه الحالة فعن قريب يرضيه مولاه بما يختار له فيؤثر بعد ذلك العدم على الوجود ، والفقر على الغنى ، ويستريح ويستأنس بعدم الأسباب أكثر مما يستريح ويستأنس أبناء الدنيا بوجود الأغراض والأسباب •

ومن علم أنه يحاسبه علم أنه يطالبه غداً بالكبير والصغير ، ويحاسبه على النقيير والقطمير ، فعند ذلك يحاسب نفسه قبل أن يحاسب ، ويطلب قلبه بالقيام بحقوقه قبل أن يطلب •

فصل

في معنى « الجليل الجميل »

الجليل المستحق لأوصاف العلو والرفعة ، والجميل قيل بمعنى
الجليل . وقيل الجليل المحسن ، والجميل المجمل فعيل بمعنى مفعول كألیم
ووجیع •

واعلم أنه عز وجل يكشف القلوب مرة بوصف جلاله ، ومرة
بوصف جماله ، فإذا كشفها بوصف جلاله صارت أحوالها دهشاً في
دهش ، وإذا كشفها بوصف جماله صارت أحوالها عطشاً في عطش ، فمن
كشفه بجلاله أفناه ، ومن كشفه بجماله أحياه ، فكشف الجلال يوجب
(محواً)^(١) وغيبة ، وكشف الجمال يوجب صحواً وقربة ، فالعارفون
كشفهم بجلاله فغابوا ، والمحبون كشفهم بجماله قطبوا ، فمن غاب فهو
مهيم ، ومن طاب فهو مقيم •

واعلم أن العابدين شهدوا أفضاله فبذلوا نفوسهم ، والعارفين
شهدوا جلاله فبذلوا قلوبهم ، والمحبين شهدوا جماله فبذلوا أرواحهم ،
فمن كان له علم اليقين شهد جلاله ، ومن كان له حق اليقين شهد
جماله^(٢) •

(١) في مـ (صحواً) وهي خطأ في النسخ .

(٢) ما قاله القشيري في « الجليل والجميل » مفيد اعظم الفائدة في

تقسيم الطائفة الى مراتب ، وخصائص كل مرتبة .

فصل

في معنى « الكريم »

قال أهل الحق : الكريم من صفات ذاته ، لم يزل كريماً ولا يزال كريماً ومعناه نفى الدناءة (عنه) والعرب تسمى الشيء الحسن الخطير النفيس كريماً .

ومنه قوله تعالى :

« أجرأ كريماً » و « رزقا كريماً » .

فنفى الدناءة في حقه باستحقاقه صفات الجلال ، وقيل الكريم في وصفه بمعنى المحسن المجمل ، الكثير العطاء والإحسان .

وقال الجنيد : الكريم الذي لا يحوجك إلى وسيلة ، وقال الحارث المحاسبى^(١) الكريم هو الذي لا يبالي من أعطى .
وقيل هو الذي لا يستقصى .

ومنه قوله تعالى في وصفه عليه السلام :

« فلما نبأت به ، وأظهره الله عليه عرف بعضه وأعرض عن بعض » .

وقال أبو علي الدقاق هو الذي إذا عفا عن عبد عفا عن له مثل معصيته ، وعن كان سمياً له من العصاة مطلقاً .

(١) هو أبو عبد الله الحارث بن أسد المحاسبى عديم النظر في زمانه علماً وورعاً ومعاملة وحالاً ، بصرى الأصل مات ببغداد سنة ٢٤٣ هـ وقيل أنه ورث عن أبيه سبعين ألف درهم فلم يأخذ منها شيئاً ، قيل لأن أباه كان قدراً فمأى من الورع إلا يأخذ من ميراثه شيئاً ، ومات وهو محتاج إلى درهم ، ويحكى عنه أنه كان إذا مد يده إلى طعام فيه شبهة تحرك على أصبعه عرق . فكان يمتنع عنه (الرسالة القشيرية) .

وقيل هو الذى لا يرضى أن يرفع إلى غير ربه حاجته •

وقيل هو الذى لا يخيب رجاء الآملين •

وقيل هو الذى لا يضيع من توسل به ، ولا يترك من التجأ إليه ،
وبحفظ حقوق خدمته إذا ماتوا • وقيل هو الذى إذا أذنبت اعتذر عنك ،
وإذا هجرت وصلك ، وإذا مرضت عادك ، وإذا قدمت من السفر زارك ،
وإذا افتقرت أحسن إليك بنفسه وماله • وقيل هو الذى إذا رفعت إليه
حاجة عاتب نفسه كيف لم يبادر إلى قضائها قبل أن تسأله •

والعرب تسمى شجرة العنب الكرم إلا أنه خفف لكثرة دورانه على
السنتهم ، وإنما سموه كرمًا للطافة شجره ، وطيب ثمره ، ويأتى قطافة
من غير تكلف مشقة صعود أو غيره ، وليس فيه شوك يعقد جوانبه كما
للنخل • وفى الحديث : « لا تقولوا لشجرة العنب الكرم لأن المؤمن أولى
باستحقاق هذه التسمية لما فيه من كرم السجايا » (خلق)^(٢) •

(٢) زائدة فى • وربها كانت (والخلق) •

فصل

في معنى « الرقيب الحفيظ »

ومنه سمى الملك الموكل بالإنسان رقيباً ، فقال :

• « ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب » •

فإن الله تعالى رقيب لعباده أى حفيظ لهم ، يعلم أحوالهم ، ويعد أنفاسهم ، ومنه قولهم : راقبت الله إذا علمت أنه مطلع عليك فراعيت حقه • فالمرقبة عند أهل هذه الطائفة أن يصير الغالب على العبد ذكره بقلبه أن الله مطلع عليه على الدوام ، فيخاف سطوات عقوبته في كل نفس ، ويهابه في كل وقت •

سئل بعضهم : لم يستعين الرجل على غض بصره عن المحظورات ؟

فقال : لعلمه أن رؤية الحق تعالى سابقة على نظره ذلك المحذور •

حكى عن سلمان الفارسي رضي الله عنه أنه كان إذا جن عليه الليل أخذ يصلي فإذا تعب جلس يسبح أنواع التسبيح ، فإذا تعب أخذ ييكي ، فإذا تعب أخذ يفكر في جلال الله تعالى وعظمته ثم يقول لنفسه : استرحت فقومى إلى الصلاة ، فإذا تعب عاد إلى التسبيح ثم إلى البكاء ثم إلى الفكر ثم إلى الصلاة ، وهكذا حتى يذهب الليل كله •

فصل

في معنى « الجيب »

وهو من أسمائه سبحانه وتعالى ورد به الكتاب نصاً ، ومعناه في وصفه أنه يجيب دعوة الداعين ، ويكشف ضرورة الطالبين ، ومن لطفه أنه يعطى قبل السؤال ، ويسدى بجزيل الثواب ، وإذا علم أن لأوليائه حاجة قضائها ذكرها بلسانهم ، وربما ضيق عليهم الحال ابتلاء وامتحاناً ورفعاً لدرجاتهم بصبرهم وشكرهم في السراء والضراء حتى أيسوا — تداركهم بجميل عوائده •

فصل

في معنى « الواسع »

• قيل معناه في وصفه عز وجل العالم

قال تعالى :

• « وسعت كل شيء رحمة وعلما »

وقال :

• « وسع كرسيه السموات والأرض »

• قيل علمه

• وقيل هو الغنى

قال الله تعالى :

• « لينفق ذو سعة من سعته »

• أى ذو غنى من غناه

وقيل هو الواسع العطاء ، الكثير الخير وهو أقوى الأقوال ، وكثرة عطائه لا تعد ولا تحصى

كما قال تعالى :

• « وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها »

واعلم أن نعم الله تعالى نوعان : نعمة نفع وهى نعمته التى أولانا إياها ، فنحن نراها ، ونعلمها • ونعمة دفع^(١) وهى ما دفعه عنا من أنواع البلاء والآفات ، وهى نعمة مجهولة ، لأننا لا نعلم منها إلا اليسير النادر ، وهى أتم من نعمة النفع لأن دفع الضرر يقدم على جلب النفع ، ونعمة

(١) يطلق القشيري على هذا النوع من النعم تسمية أخرى فى لطائفه

وهى « نعم المنع » .

الدفع شاملة على الكفار أيضاً في الدنيا والآخرة ، أما في الدنيا فظاهر ،
وأما في الآخرة فلأنهم في أى ألم وعذاب كانوا فبالله تعالى قادر على أن
يوصل إليهم ألماً وعذاباً أشد من ذلك ، فإذا لم يوصل كان نعمة دفع •

واعلم أن نعمة الله تعالى على عبده فيما يقبضه عنه من الدنيا أكثر
وأوفر من نعمته عليه فيما يبسط له منها لأن قربته منه بقدر بعده عن الدنيا •

حكى أن وزير المعتصم بعث مالا إلى أبى الحسين النورى ليفرقه
على أصحابه ، فوضعه النورى في بيت ثم قال للفقراء ادخلوا البيت
واحملوا منه بقدر حاجتكم ، فدخلوا ، فممنهم من أخذ دانتاً ، ومنهم من
أخذ درهماً ، ومنهم من أخذ أكثر ، فلما خرجوا قال لهم : قربكم من الحق
وبعدكم على مقدار ما أخذتم •

فصل

في معنى « الحكيم »

من حكمته التي لا يعلم وجهها إلا هو تخصيصه قوماً بالسعادة في الأزل من غير سبب سابق ، وتخصيصه قوماً بالشقاوة في الأزل من غير سبب سابق أيضاً ، بل جف القلم في حق الفريقين بما تعلق به العلم القديم أنه يود المؤمنين ويودونه •

قال :

• « يحبهم ويحبونه » •

وقال :

• « والذين آمنوا أشد حبا لله » •

وقال :

• « إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا » •

أى سيخلق في قلوبهم محبته ، ومحبة الله تعالى للعبد رحمته له وإنعامه عليه ، أو مدحه له وثناؤه عليه ، فإن كانت بمعنى الرحمة والمدح والثناء كانت من صفات الذات ، وإن كانت بمعنى الإنعام والإحسان كانت من صفات الفعل •

ومحبة العبد لله تعالى طاعته له وموافقته لأمره ، أو تعظيمه له وهيبته في قلبه ، وأجمع أهل الحقيقة على أن كل محبة تكون عن ملاحظة عوض^(١) فهي معلولة ، بل المحبة الصحيحة هي المحبة الصافية من كل طمع •

(١) في س (غرض) والمعنى يتقبل هذه وتلك ، اذ يريد القشيري تصفية الحب الالهي من طلب العوض ، وأن ينقيه من الغرض •

فصل

في معنى « المجيد »

المجيد في وصفه تعالى بمعنى العظيم ، الرفيع القدر ، والمجد في اللغة الشرف وقيل المجيد العطاء أى الكثير الإحسان .

ومن إحسانه إلى عباده الذى يخفى على أكثر الخلق حفظه عليهم قلوبهم ، وتصفيته لهم أوقاتهم ، وهذه هى النعمة الكبرى ، كما أن محنته العظمى محبة القلوب ، قال بعضهم كنت قاعداً عند سمنون^(١) وهو يترنم فى نفسه ويضرب بيده على فخذه حتى انشق اللحم وسال الدم ويكرر قوله :

كان لى قلب أعيش به ضاع منى فى تقلبه
رب فارده على فقد ضاقت على به

وقال بعضهم رأيت رجلاً يطوف بالبيت ويقول :

وواحشته بعد الأنس ، واذلاه بعد العز ، وافقده بعد اللقاء !

فقلت له : أذهب لك مال ؟ أم أصابتك مصيبة ؟

فقال : لا ، ولكن كان لى قلب فقدته .

وقال عبد الله بن خفيف^(٢) : رأيت بمصر فقيراً يطوف على الناس ويقول :

(١) هو أبو الحسن سمنون بن حمزة صاحب سربا السقطى ، والفساب ، وهو من كبار مشايخ العراق . مات بعد الجنيـد ، ويشتهر بسمنون المحب ، وله فى المحبة أشعار رفيقة جميلة اما من انشائه او من انشاده .

(٢) هو أبو عبد الله محمد بن خفيف الشيرازى صاحب رويما والجريـرى وابن عطاء مات سنة ٣٩١ هـ ، ومن أقواله : ليس على المريد شئ أضر من مسامحة النفس فى ركوب الرخص ، وله أيضاً : قربك منه تعالى بملزمة الموافقات . وقربه منك بدوام التوثيق .

• ارحموني ، فياني رجل صوفي ذهب رأس مالي •

فقلت :

وهل للصوفي رأس مال ؟

• فقال : نعم ، كان لي قلب فقدته •

واعلم أن الله تعالى إذا أراد أن يسعد عبداً أغناه بلا مال ، وكفاه
بلا احتيال وأعزه من غير رهط وأشكال ، وإذا أراد أن يشقيه ختم له
ببغته فكر وفجأة نقمة •

فصل

في معنى « الباعث »

- الباعث هو الله لأنه يبعث العباد بعد الموت أى يحييهم

قال الله تعالى :

- « وأن الله يبعث من في القبور »

- وقيل المراد أنه باعث رسله إلى عباده

قال تعالى :

- « ثم بعثنا من بعده رسلا إلى قومهم »

فمن تحقق أن الله يبعث بعد الموت للثواب أو للعقاب لم يبرح مشغولاً بتصفح أحواله ، وتفتيش أعماله •

قيل إن رجلاً من الصالحين رأى في المنام فقيلاً له : ما فعل الله بك ؟

فقال : غفر لى ورفع درجاتى :

فقيل : بماذا ؟

فقال : هاهنا يعاملون بالجود لا بالركوع والسجود ، ويعطون بالمنة

- لا بالخدمة ، ويغفرون بالفضل لا بالفعل •

ويكون الباعث في وصفه أيضاً بمعنى أنه يبعث الخواطر الخفية في

الأسرار فمن دواع يبعثها إلى الحسنات ، ومن دواع يبعثها إلى السيئات •

فصل

في معنى « الشهيد »

الشهيد هو العليم ومنه قوله تعالى :

• « شهد الله »

• أى علم الله

والشاهد الحاضر ، وحضوره سبحانه بمعنى علمه ورؤيته وقدرته ،
والشهيد مبالغة من الشاهد ، والله تعالى شاهد على الخلق غداً •

قال تعالى :

• « قل أى شيء أكبر شهادة قل الله » •

فالشهيد المشهود فكأنى عباده يشهدونه ، ويكون الشاهد والشهيد
في وصفه أيضاً بمعنى مبین الدلائل ، وموضح الحجج ، ومنه سمى الشاهد
شاهداً لأنه مبین وموضح ، وإذا علم أن الله تعالى شهيد يعلم أفعاله ،
ويرى أحواله شهد عليه بما يقاسيه لأجله ، وهان عليه ما يعانيه لرضاه •

قال تعالى :

• « واصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا » •

حكى أن رجلاً كان يضرب بالسياط وهو يصبر ولا يصيح ، فقال له
بعض المشايخ :

أما يؤلمك الضرب ؟

فقال : نعم •

قال : فلم لا تصيح ؟

فقال : فى الحاضرين لى محبوب يرقبني فأخاف أن يذهب ماء وجهي
عنده إن صحت •

فمن ادعى محبة الحق سبحانه وتعالى ولم يصبر على قرص نملة
أو بعوضة — فكيف يكون صادقاً ؟ !

وأهل المعرفة لم يطلبوا مؤنساً سواه ، ولا طلبوا شيئاً غيره ، كما قيل:

أنتم سرورى وأنتم مشتكى حزنى
وأنتم فى سواد الليل سمارى
فإن تكلمت لم ألفظ بغيركم
وإن سكت فأنتم عقد اضمارى

فصل

في معنى « الحق »

الحق من أسمائه ، وهو بمعنى الوجود الكائن ، وكذا معناه في اللغة ، ومنه قوله عليه السلام « السحر حق » أى كائن موجود ، وكذا يقال الجنة حق ، والنار حق •

ويكون الحق في وصفه بمعنى ذى الحق كقولهم رجل عدل ورضا أى ذو عدل ورضا ويكون بمعنى محق الحق •

وأكثر ما يجرى على لسان هذه الطائفة من أسمائه سبحانه وتعالى الحق ، لأنهم ارتقوا من شهود الأفعال إلى شهود الصفات ، ثم من شهود الصفات إلى شهود الذات •

ومن عرف أنه ذو الحق آثر حقه على حظه ، وعلامة صدقه في ذلك الإيثار أن يسخر له خلقه •

والمبين في وصفه سبحانه معناه أنه هو الذى يوضح الحق ويقلبه ، ويميزه عن الباطل بالحجج والبراهين ، ويبين من مكنونات^(١) العدم ما لم يخطر ببال أحد من دقائق آثار الحكمة ، وعجائب متعلقات القدر ، ويبين لقلوب الواجدین^(٢) على الخصوص شهود الربوبية بما يزيل الشبهة ويقوى الحجة^(٣) •

(١) فى م (ميتومات) •

(٢) فى م (الموجودين) ويحتمل أن تكون (الموحدين) •

(٣) فى م (يقل) والمعنى يرفضها •

فصل

في معنى « الوكيل »

الوكيل الذى وكل إليه الأمر ، فهو فعيل بمعنى مفعول ، فمن عرفه وكل إليه أموره فهو المتولى لأحوال عباده ، يصرفهم على ما يشاء ويختار ، وإذا تولى أمر عبد بجميل العناية كفاه كل شغل ، وأغناه من كل غير ، فلا يستكثر العبد حوائجه لعلمه أن كافيه مولاه ، ولهذا قيل من علامات التوحيد كثرة العيال على بساط التوكل .

حكى أن أحمد بن خضرويه^(١) لما حضرته الوفاة كان عليه دين سبعون ألف درهم فحضر غرماؤه فقال : يا إلهى : إن روحى رهن فى أيديهم ، فإن أردت قبضها فاقض حقوقهم ، فدق إنسان الباب وقال : ليخرج غرماؤه فخرجوا ، وقضى ديونهم ثم مات أحمد .

واعلم أن من جعل المخلوق وكيلا له فإنه يسأله الأجر ، وقد يخونه فى ماله ، وقد يخطئ فى تصرفه ، أو يخفى عنه الأصوب والأرشد لصاحبه ، ومن رضى بالله وكيلا أعطاه الأجر ، وحقق آماله ، وأثنى عليه ، ولطف به فى دقائق أحواله بما لا تهتدى إليه آماله ، ولا يحيط بتفاصيله سؤاله .

ومن جعل الله عز وجل وكيلا لزمه أيضاً أن يكون وكيلا لله سبحانه على نفسه فى استثناء حقوقه وفرائضه وكل ما يلزمه ، فيخاصم نفسه فى ذلك ليلا ونهاراً لا يفتر لحظة ، ولا يقصر طرفة كما قيل :

على رقيب منك ثاو بمهجتي إذا رمت تسهيلا على تصعبا

(١) ابن خضروية من كبار مشايخ خراسان صاحب النخشبى والأصم ، والتقى بأبى يزيد ، وابن خضروية من مذكورى مشايخ خراسان بالفتوة توفى سنة ٢٤٠ هـ ومن كلامه القلوب جواله أما أن تجول حول العرش وأما أن تجول حول الحش (الحش : المرحاض) — فى الحرية تمام العبودية وفى تحقيق العبودية تمام الحرية. الصبر زاد المضطرين ، والرضا درجة العارفين .
(طبقات السلمى) .

فصل

في معنى « القوى »

- القوى في وصفه بمعنى القادر ، وقد مضى تفسير القادر •

فصل

في معنى « المتين »

المتين من أسمائه سبحانه وتعالى ورد به الكتاب وهو بمعنى القوى ، فهو على ما يشاء قدير ، لا يحتاج في إمضاء حكمه إلى جند ومدد ، ومعين وعضد ، بل إذا أراد إهلاك عبد أهلكه بيده حتى يخنق نفسه أو يجرحها أو يحرقها أو يغرقها أو يفعل بها ما يكون سبباً لعدمها •

قال أبو علي الدقاق : لما نادى نوح عليه السلام ابنه ، وأمره أن يركب معه في السفينة فأبى ، وآوى إلى الجبل اتخذ بيتاً من زجاج لئلا يؤثر فيه الماء على مرور الأيام ، ودخل فيه ، وسد عليه المدخل ، فابتلاه الله تعالى بإدراار بوله حتى امتلأ عليه ذلك البيت بولا ، غرق قوم نوح كلهم في الماء وغرق ابنه في بوله •

ومن علم أن مولاه على كل شيء قدير يقطع الرجاء عن سواه ، ويفرد له سره كما قال الخليل عليه السلام « ربنا إني أسكنت من ذريتى بواد غير ذي زرع » ، أراد أنى سهلت طريقهم إليك ، وقطعت رجاءهم عن سواك ، ثم قال : ليقيموا الصلاة أى شغلتهم بخدمتك خاصة ، وأنت أولى بهم منى ومنهم ، ثم قال : « فاجعل أفئدة من الناس تهوى إليهم » ، أى إذا احتاجوا إلى شيء ذل عبادك لهم فإنك على كل شيء قدير •

قال الجنيد رحمه الله : سمعت السري يقول : إن فى قرى بغداد لله تعالى أولياء لا يعرفهم الخلق ، كنت أدور فى قرى بغداد على أرى منهم واحداً فقال هيهات أن تراهم ولكن كن منهم تراهم وأنت فى بيتك •

فصل

في معنى « الولي »

الولي في وصفه سبحانه وتعالى هو المتولى لأحوال العباد وأعمالهم، وقيل هو الولي فعيل بمعنى فاعل ، يقال ولي فلان كذا يليه ولايته فهو وال ، وولي له على المبالغة • والولي يكون بمعنى الناصر أيضاً يقال هؤلاء أولياء فلان أي أنصاره •

ومنه قوله تعالى :

« وما لهم من دون الله من أولياء » •

وإنما سمي أولياء الله أولياء لأنهم أنصار دينه ، وأشياع طاعته • وقوله تعالى :

« نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا » •

بمعنى أنصاركم •

ويكون الولي أيضاً في وصف العبد بمعنى المواظب على الطاعة ، وتكون الولاية أيضاً بمعنى المحبة ، والله ولي المؤمنين أي محبهم ، قال بعض العارفين : أخبر الله تعالى عن يوسف عليه السلام أنه قال : « أنت وليي في الدنيا والآخرة » ، وعلم سبحانه أن في هذه الأمة ضعفاء يرتكبون^(١) الذنوب وليست لهم جسارة الدعوى ، فبدلهم بجميل فضله ، فقال :

« نحن أولياؤكم » •

فشتان بين عبد يقول : أنت وليي وعبد يقال له : أنا وليك ، وليس هناك تفضيل لأحد هذه الأمة على نبي الله لكن رفق الله بالضعفاء أكثر ،

(١) في - (يركبون) •

وفضله منهم أقرب ، ولو لم يكن في القرآن في هذا الباب آية إلا قوله تعالى :

« إن الله هولى الذين آمنوا » •

لكفاهم ذلك شرفاً ومجداً •

واعلم أن العبودية للعبد نسبة ، وولاية الله ابتداء ، والنسبة لم تكن ، وما من الحق لم يزل ، ولأن يكون مالك بمعنى لم يزل خير لك من أن يكون مالك^(٢) بمعنى لم يكن •

ومن علامات من يكون الحق وليه أن يصونه و (...)^(٣) ويعينه على قلبه في كل نفس بتحقيق آماله عند إشاراته ، وتعجيل مآربه عند^(٤) خطراته •

قل بعض المشايخ : دخلت على ذى النون المصرى يوماً فقال لى :

أى شىء تقول الناس فى ؟

قلت : يقولون إنه زنديق •

فقال : الأمر سهل ، حيث لم يقولوا إنه يهودى ، فإن قلوب الناس تنفر من اليهود أكثر •

فخرجت من عنده فسمعت الناس يقولون : ذو النون يهودى ، فرجعت إليه وأخبرته ، فتبسم ، ثم إنهم سَعَوْا به إلى السلطان ، وقصده ، فركبوا زورقاً ليأتوه ، فنظر إليهم ، وحرك شفته ، فكادوا

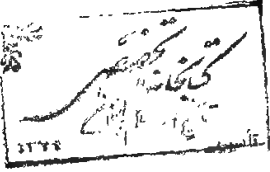
(٢) فى م (جمالك) والمعنى يرفضها •

(٣) مشتبهة فى م وساقطة فى س •

(٤) فى م (عن) وربما يقبلها المعنى على أساس أن الله يعجل للإنسان تحقيق مآربه من قبل أن يرد ذلك على خاطره ، راجع تعريف الخاطر فى رسالة القشيري (ص ٤٦) •

يغرقون ، فتأبوا وتضرعوا ، فقبل عذرهم • فمن لم ينتقم انفسه انتقم الله له ، ومن لم ينتصر لنفسه انتصر الله له •

ومن علاماته أيضاً أن يديم توفيقه حتى لو أراد السوء أو قصد الحظر فيعصمه الله عن ارتكابه ، ولو مال إلى تقصير في طاعة لم يتسهل له بل ينقلب ذلك توفيقاً وتأبيداً ، فهذا من علامات السعادة ، وعكسه من علامات الشقاوة ، ومن علاماته أيضاً أن يرزقه مودة في قلوب أوليائه ، فيجلب إليه زيادة الأفضال والإنعام من الله عز وجل •



فصل

في معنى « الحميد »

- فعيل بمعنى مفعول فهو محمود بحمده لنفسه ، وحمد خلقه له .
- أو فعيل بمعنى فاعل فهو حامد لنفسه ، حامد للمؤمنين من عباده .
- والحمد في اللغة يكون بمعنى المدح والثناء ، ويكون بمعنى الشكر ويكون بمعنى الرضا ، يقال بلوته^(١) فحمدته أى اختبرته^(٢) فرضيته ...
- ويكون العاقبة يقال حماد أمرك أى عاقبة أمرك ، فقول القائل « الحمد لله » يصدق بأى اعتبار أخذ من هذه الوجود .

حمد العبد لمرب إذا كان بمعنى المدح والثناء لا يقبل منه إلا إذا كان عن تحقق^(٣) ، والتحقق عرفان القلب بما يثنى به الرب ، لأن الله تعالى نهى أن يقول العبد فى وصفه ما لم يعلمه وإن كان صادقاً فى قوله .

قال تعالى :

« وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون » .

وإذا كان حمده بمعنى شكره فهو عبارة عن شهود المنعم لا عن شهود النعمة ، قال داود عليه السلام : إلهى كيف أشكرك وشكرى لك نعمة منك على ؟ فقال : الآن .. قد شكرتنى .

فكم عبد يتوهم أنه فى نعمة يجب عليه شكرها ، وهو فى الحقيقة فى محنة يجب عليه الصبر عنها .

(١) فى - (تلوته) .

(٢) فى - (أخبرته) .

(٣) فى - (تحقيق) .

فصل

في معنى « المحصى »

ورد به الكتاب ، قال الله تعالى :

• « وأحصى كل شيء عدداً » •

أى أحاط بكل شيء علماً ، ولهذا قيل فى قوله عليه السلام :

« إن الله تسعة وتسعين اسماً من أحصاها دخل الجنة » أى من علمها •

ويجوز أن يكون المحصى فى وصفه بمعنى عاد الأشياء ، فمن آداب من علم أنه يحصى أنفاسه ، ويرعى له حواسه لعلم أنه قريب وعليه رقيب ، وعلم أنه يتكلف عد نعمه عليه مع علمه أنه لا يحصياها إلا هو كما قال تعالى :

• « وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها » •

ليزجى^(١) وقته بذكر أنعامه ، وشكر أقسامه ، فستوجب المزيد (من) مواهب إحسانه •

(١) فى م (ليرجى) •

فصل

في معنى « المبدى » و « المعيد »

المبدىء المظهر ابتداء ، فالله تعالى مبدىء جميع الأشياء بالخلق والإنشاء ، يقال بدأ الله الخلق وأبداهم بمعنى •

والمعيد الخالق للشيء بعد ما عدم ، فالإعادة ابتداء ، فالله تعالى مبدىء الخلق ومعيدهم بالبعث والنشور يوم القيامة •

واعلم أن الله تعالى يبدى فضله وإحسانه لعبيده^(١) ويكرره ، فإن الكريم من (•••) صناعته ، وهذا فى وصف المخلوق الذى إذا تركت سؤاله تركك ، فكيف فى وصف الخالق الذى كلما زدته سؤالاً ، زاد حباً ونوالاً •

ومن جميل فضله أنه يعيد لعبده أيامه الذاهبة ، وأوقاته الدارسة كما قيل :

لئن درست آثار ما كان بيننا من الوصل ما شوقى إليك بدارس
وما أنا من أن يجمع الله بيننا بأحسن ما كنا عليه بآيس
هذه جماعة من المشايخ إلى أن الأوقات ليس لها بدل ، فمن فاتته وقته لا يكون له إليه وصول ، وأنشدوا :

فخل سبيل العين بعدك للبكا فليس لأيام الصفاء رجوع

قيل لما كثر بكاء داود عليه السلام أوحى الله تعالى إليه لم^(٢) تبكى؟ إن كان بكائك خوفاً من النار فقد أمنتك ، وإن كان رجاء الجنة فقد

(١) وردت فى س (ويعيده) •

(٢) مشتبهة فى م وفى س •

(٣) فى م وردت (كم) •

أعطيتك ، وإن كان لحديث الخصم فقد أرضيتك^(٤) • فزاد داود في البكاء ،
وقال إنما أبكى لما فاتتني من صفاء ذلك الوقت^(٥) ، فارده على •

فقال : هيهات يا داود لا سبيل إلى رد ذلك الوقت !

واعلم أنهم لم يصلوا إلى تلك الأوقات ، فأوقات تأسفهم وتلهفهم
عليها أتم من تلك الأوقات ، لأن ذلك حق الله تعالى منهم خالصاً وليس
لهم كلية حظ ، ولهذا قال موسى عليه السلام : إلهي أين أجذك ؟

فقال : عند المنكسرة قلوبهم من أجلى •

(٤) في م وردت (أرضيته) •

(٥) مشتبهة في (س) وناقصة في (م) •

فصل

في معنى « المحيي الميت »

في الحقيقة خالق الحياة والموت ، وهو الله تعالى الذي لا يقدر على ذلك غيره ، ثم اعلم أن هذه الطائفة أطلقوا لفظ الإحياء والإماتة على حالتى الفرحة والفرحة ، والمنحة والمحنة تجوزاً وتوسعاً كما يقال فلان أحيا فلاناً بجوده ، وأمات فلاناً بعقوبته أو بصدده عنه وإعراضه ، فلهذا قال أهل الحقيقة : من أقبل على الحق أحياء ، ومن أعرض عنه أماته وأفناه وأنشدوا :

أموت إذا ذكرتك ثم أحياء فكم أحياء عليك وكم أموت

وقالوا : من كان فناؤه في الله فهو حي وإن هلك ، ومن كانت حياته في المخالفة فهو ميت وإن عاش وأنشدوا :

ليس من مات فاستراح بميت إنما الميت ميت الأحياء

وقيل :

تد مات قوم وهم في الناس أحياء : أى بذكرهم الجميل

وقيل في قوله تعالى :

« ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء » •

أى بذكره الجميل لهم •

وعند القوم الإسلام هو ذبح النفوس بسيف المجاهدة ، والإيمان هو حياة القلوب بنور الموافقة ، ولهذا قالوا : لا يصح السماع إلا لمن كانت نفسه ميتة وقلبه حياً • ومن علامات من ماتت نفسه زوال آفاته ، وسقوط شهواته ، وقيامه بحقوق ربه وما فيه رضاه ، وتباعده عما غيه حظوظ نفسه ومنهاته ، فيعيش مع الحق بالمروءة ، ومع الخلق بالفتوة ، فبمروءته لا يخالفه في أوامره ، وبفتوته لا ينازع الخلق في مطالبه ومآربه فيكون مع الله بالصدق ، ومع الخلق بحسن الخلق •

فصل

في معنى « الحى القيوم »

الله تعالى حى ، وحياته صفة من صفات ذاته زائدة على بقائه فهو الدائم البقاء الذى لا سبيل لفناءه •

والقيوم مبالغة من القائم بالأمور ، يقال فلان قائم بهذا الأمر وقيم وقيام وقيوم ، فمعنى القيوم فى وصفه أنه المدبر والمتولى لجميع الأمور التى تجرى فى العالم •

ومن علم أنه الحى الذى لا يموت لا يعتمد على مخلوق لأن من اعتمد على مخلوق وتوكل عليه لوقت حاجته يحتمل فناؤه وقت حاجته إليه ، فيضيع رجاؤه وأمله •

قيل إن رجلاً قال : إن صديقى فلاناً مات فمن كثرة ما بكيت عليه ذهب ، ف قيل له : إن الذنب ذنبك حيث أحببت الحى الذى يموت ، هلا أحببت الحى الذى لا يموت حتى كنت تستغنى عن البكاء عليه •

قال بعضهم : إن الدنيا مع الموت لا تساوى شيئاً ، فقال : بل ولو لم يكن فيها موت ما كانت تساوى شيئاً • وأراد بذلك أن وصول العبد إلى مولاه لا كان موقوفاً على موته كان موته من جملة النعم فلو لم يوجد الموت ما وجد الوصول ، ولهذا قيل : الموت جسر يوصل الحبيب إلى الحبيب • وقيل من علامات الاشتياق إلى الله تعالى تمنى الموت على بساط العافية •

ومن عرف أنه القيوم بالأمور استراح من كد التدبير ، وتعب الاشتغال بغيره ، وعاش براحة النفس ، ولم يكن للدنيا عنده قيمة •

قال الأكابر : إن جميع كرائم الدنيا والعقبى أقل عند الله تعالى من تنة واحدة عند سلطان ، ومن سأل سلطاناً أن يهبه تنبة فقد صغرت همته •

فصل

في معنى « الواجد الماجد »

الواجد الغنى ومن الجدة وهى السعة والغنى ، وقيل العالم ومنه قوله تعالى :

• « ووجد الله عنده » •

• أى علمه •

فمن عرف أنه عالم فعلمة ذلك أن يلتجئ إليه ، والواجد فى اصطلاح هذه الطائفة الذى أصابه الوجد ، ومعنى الوجد عندهم ما يجده الإنسان ويصيبه فى قلبه من الأحوال من غير تطلب ولا تكلف ، وقيل الوجد مكاشفة الأسرار بمشاهدة المحبوب • وقال الشبلى الوجد فقد والفقد فى الوجد وجد •

وقيل الوجد وجود نسيم الحبيب كقول يعقوب عليه السلام :
« إنى لا أجد ريح يوسف » •

• وقال الجنيد : الوجد انقطاع الأوصاف عن الشهود •

• وقيل الوجد : نيران الأنس تثيرها رياح القدس •

وقال المرتضى^(١) : من تواجد ولم ير من تواجده زيادة فى دينه
فبينغى أن يستحى ويتوب •

وقال أبو سعيد الخراز : كل وجد يظهر على الجوارح الظاهرة وفى النفس أدنى حمولة له فهو مذموم •

(١) هو عبد الله بن محمد المرتضى نيسابورى من محلة الحيرة وقيل من ملقباذ صاحب أبا حفص وأبا عثمان (وهما من أعلام الملامية) ولقى الجنيد مات ببغداد سنة ٣٢٨ هـ قيل له ان فلانا يمشى على الماء فقال : عندى أن من مكته الله تعالى من مخالفة هواه فهو أعظم من المشى فى الهواء •
(الرسالة ص ٢٨) •

وقال النصراباذي^(٢) : مواجيد القلوب تظهر بركتها على الأبدان ،
ومواجيد الأرواح تظهر بركتها على الأسرار •

وقال الجنيد : لا يضر نقصان الوجد مع فضل العلم ، وإنما يضر
فضل الوجد مع نقصان العلم •

وقال الجنيد : ذكر الوجد عند السرى فقال يبلغ بحيث لو ضرب
وجهه بالسيف لا يحسه ، (وكان في قلبي منه شيء حتى بان لي أن الأمر
كذلك)^(٣) وكان سهل بن عبد الله يقوى عليه الوجد فلا يأكل في خمس
وعشرين يوماً إلا مرة ويكون عليه قميص واحد وهو معرق في الشتاء ،
فإذا سأله مسألة قال :

لا تسألوني في هذا الوقت ، فإنكم لا تنتفعون بكلامي •

وقيل تواجد النوري فقام على رجله شهراً في مسجد الشونيزيه ،
وكان إذا حضر وقت الصلاة صلى ، ثم عاد إلى قيامه ، فقال بعضهم
إنه (...)^(٤) فبلغ ذلك الجنيد فقال : لا .. ولكن أرباب المواجيد
محفوظون بين يد الله تعالى لا يجري عليهم لسان الذم •

وقيل : الوجد تقع عليه العبارة ، فأما الوجود فلا تقع عليه عبارة
لأنه سر بين الله تعالى وعبد •

(٢) هو أبو القاسم ابراهيم بن محمد النصراباذي شيخ خراسان في
وقته صاحب الشبلي والروزياري والمرتضى . اقام بنيسابور ، ثم خرج في
آخر عمره الى مكة ومات سنة ٣٦٧ هـ (طبقات السلمي) .

(٣) ما بين قوسين تنم للنص كما ورد في رسالة القشيري ص ٣٦
حيث توجد الفاظ مشتبهة في س وناقصة في م ، والكلام مستمر للجنيد .

(٤) مشتبهة في م وهي في س (صاحي) ولم نثبتها في النص لأنها
لو كانت كذلك لجا رسماً (صاح) بدون ياء لأن المنقوص المرفوع نحذف
ياءه اذا خلا من اداة التعريف .

فصل

في معنى « الواحد الأحد »

اسمان من أسمائه •

قال تعالى :

« والهكم إله واحد » •

وقال :

« قل هو الله أحد » •

فالواحد حقيقة هو الذي لا قسم له ، ولا يستثنى منه ، هذه حقيقة عند أهل التحقيق ، فقولهم دار واحدة مجاز لأنه يصح استثناء البعض منها •

قال ابن فورك رحمه الله : الواحد في وصفه عز وجل له ثلاثة معان :

أحدهما لا قسم له لذاته فإنه غير متبعض ولا متجزى •

والثاني أنه لا شبيه له ، تقول العرب فلان واحد في عصره أى لا نظير له •

والثالث أنه لا شريك له في أفعاله يقال فلان متوحد بهذا الأمر أى لا يشاركه فيه أحد ولا يعاونه •

والأولون قالوا هذه المعانى الثلاثة مستحقة لله تعالى ، ولكن لفظ التوحيد فيه حقيقة في نفى القسمة مجاز في الباقي •

وأما الأحد فأصله في اللغة وحد ، يقال رجل وحد ووحد بفتح الحاء وسكونها ووحد أيضاً — كما يقال رجل فرد وفرد وفريد — فقلبت واوه همزة •

واعلم أن من الناس من لا يفرق بين الواحد والأحد في المعنى ومنهم من يفرق ، فيقول الواحد اسم لمفتتح العدد يقال واحد اثنان ثلاثة •• ، والأحد اسم لنفى ما يذكر معه من العدد ، وقيل الأحد يذكر مع الجدد فيقال ما جاءنى أحد معناه نفى مجيء الواحد وما فوّه أيضاً ، ويقال

جاعنى واحد ولا يقال جاعنى أحد • وقيل الأحد إنما يذكر فى الإثبات
فى وصف الله عز وجل على وجه التخصيص •

قال تعالى :

« قل هو الله أحد » •

ولا يقال هو الرجل الأحد ، ولا رجل أحد ولكن يقال فى وصفه
وحيد وواحد •

والتوحيد هو الحكم بأنه سبحانه وتعالى واحد ، وذلك الحكم يكون
بالقول ، وبالعلم ، وبالإشارة بالإصبع • والتوحيد ثلاثة : توحيد الحق
سبحانه وتعالى لنفسه وهو علمه بأنه واحد وإخباره بأنه واحد ، وتوحيد
العبد للحق وهو بهذا المعنى أيضاً ، وتوحيد الحق للعبد وهو إعطاؤه
التوحيد وتوفيقه له •

قال الشبلى رحمه الله : التوحيد أفراد^(١) القدم عن الحدث ، وقال
ذو النون التوحيد أن تعرف « أن قدرة الله تعالى فى الأشياء بلا مزاج ،
وصنعه للأشياء بلا علاج ، وعلة كل شئ صنعه ولا علة لصنعه ومهما
تصور فى نفسك شئ فالله عز وجل بخلافه »^(٢) •

وقيل التوحيد فناء الرسم بظهور الاسم ، وقيل التوحيد أن تعلم
أن كل ما خطر ببالك مما ترقى إليه كيفيته أو تنتهى إليه كميته أو تنتمى
إليه ماهيته ، أو تليق بوصفه إنيته — فالله جل جلاله بخلافه •
وقال بعضهم^(٣) إنما لا يصح لك توحيد لأنه توحد بك ، وتطلبه
بك ، يعنى هنا أنه ينبغى أن يعلم الموحد له والطالب له أن توحيده إياه
به ، وكذا طبله إياه به ، ويعلم أن وجوده إياه منه ، فهو المبتدئ بالفضل
والمتمم له تبارك الله رب العالمين •

(١) فى م (اقرار) ، وافراد أدنى الى المعنى ، وقد جاءت فى تعريفات
مماثلة أكثر من مرة فى الرسالة (باب التوحيد) •
(٢) ورد النص فى م (قدرة ... بلا علاج ، وصنعه ... بلا مزاج)
والأقرب ما جاء فى م وهو متفق مع النص الذى ورد فى رسالة القشيرى ص ٤ •
(٣) هو الشبلى كما جاء فى رسالة القشيرى ص ١٥٠ •

فصل

في معنى « الصمد »

قليل معناه الباقي الذي لا يزول ، وقيل الدائم ، وقيل الذي لا يطعم ، وقيل الذي لا جوف له ، وقيل الذي يصمد إليه في الحوائج أى يقصد وهو الصحيح ، وقيل هو السيد الذي ينتهى إليه السؤدد وهذا يؤول إلى القول الذى قبله .

فمن عرف أنه الدائم الذى لا يزول بالفناء والمزوال^(١) وقرب الارتحال ، فلا حظ الدنيا بعين الفناء ، فزهّد في حطامها ، ولم يرغب في حلّالها ، ولهذا قال الحكماء : لو كانت الدنيا من ذهب يفنى والآخرة من خزف يبقى لوجب على العاقل أن يزهّد في الذهب الفانى ويغلب في الخزف الباقي ، فكيف والدنيا وجميع ما عليها في الحقيقة تراب يفنى ؟ ! .

حكى أن رجلاً اشترى داراً فحفر فيها موضعاً فوجد جرة فيها ذهب ، فمضى إلى البائع وقال له : إني اشتريت الدار منك ولم أشتّر الذهب . فخذ . قال البائع : إني بعثتك الدار بما فيها . فلا آخذه .

فتحاكما إلى القاضى ، فقال : ألكما أولاد ؟ . فقال : أحدهما لى ابن ، وقال الآخر لى بنت . فقال : زوجا أحدهما من الآخر وأنفقا الذهب عليهما فهذه صفة من لم يجعل للدنيا خطراً .

حكى أن رجلين تنازعا في أرض فأنطق الله لبنّة من جدار فيها فقالت : إني كنت ملكاً من الملوك ، ملكت الدنيا ألف سنة ثم مت فصرت رميماً ألف سنة ، فأخذنى إنسان واتخذنى خزفاً ، فاستعملت مدة ثم انكسرت وبقيت ألف سنة خزفاً ثم ضرب منى لبن ، وأنا في هذا الجدار . فلم يتنازعا بعد هذا .

(١) وردت في (الذل) والزوال أقرب إلى المعنى وأكثر اتصافاً مع الفناء وقرب الارتحال .

ومن عرف أنه الذي لا يطعم وهو يطعم يتوجه في طلب الرزق إليه ، ويتوكل في جميع أحواله عليه ، ولا يتهمة في رزقه فيستعين بغيره ، فإنه كما لم يشاركه أحد في خلقه لا يشاركه أحد في رزقه ، ومن يحتاج إلى ما يطلبه منه من مأكول أو مشروب أو ملبوس كما تحتاج أنت إليه — كيف تصدق الرغبة إليه في مأمول ، أو يرجى منه النجح في مسئول ؟ ! •

ومن عرف أنه الذي يصمد إليه في الحوائج شكا إليه فاقته ، ورفع إليه حاجته وتعلق به^(٢) بجميل تضرعه ، وتقرب منه بأصناف توسله •

حكى أن بعضهم زار قبر النبي عليه السلام وقال : إلهي .. إن غفرت لي سررت نبيك هذا وإن لم تغفر لي أشمت بي عدوك الشيطان ، وحاشاك أن تؤثر شماتة عدوك على سرور وليك •

(٢) في • (وتعلق إليه) •

فصل

في معنى « القادر المقتدر »

كلامهما في القرآن ، قال الله تعالى :

• « عند مليك مقتدر » •

والقادر من له قدرة ، وحقيقة القدر ما يتقدر بها المراد على حسب قصد الفاعل في الوقوع ، ثم جهة الوقوع تختلف إلى خلق وكسب ، فقدرة الحق تصلح للخلق ، وقدرة العبد تصلح للكسب ، فالعبد لا يوصف بالقدرة على الخلق ، والحق لا يوصف بالقدرة على الكسب .

ومن عرف أنه عز وجل قادر خشى من سطوات عقوبته عند مخالفته ، وأمل لطائف رحمته ونعمته ، عند سؤاله وحاجته لا بوسيلة طاعته^(١) ، بل بكرمه ومنته .

وكذلك أيضاً من عرف أنه قادر سكن عن الانتقام ثقة من انتقامه ، فانتصاره له أتم من انتقامه لنفسه ، ولهذا قيل : احذروا من لا ناصر له غير الله .

واعلم أن الله تعالى كريم ، يقدر لكنه يغفر ، ويعلم لكنه يحلم .
روى أن حملة العرش ثمانية ، أربعة تسبيحهم سبحانه الله عدد عفوهِ ،
وأربعة تسبيحهم عدد حلمه بعد علمه .

(١) لاحظ هنا رأى القشيري في مسألة العمل الإنساني ، انى قيمة هذا العمل لا تؤدي الى ثمرة الا اذا كان الحق يلهم به ويسدد فيه ويعين عليه ، اما اذا ظن العبد أن عمله وحده موصله الى شيء فيصدق عليه قول رابعة :
ان استغفارنا في حاجة الى استغفار .

فصل

في معنى «المقدم المؤخر»

معناها في وصفه سبحانه تتدويمه بعض الأحوال على بعض ، وتأخير بعضها عن بعض ، في الوقت أو في الرتبة ، وهما من دلائل إراداته وفعله .

واعلم أن أولياء الله تعالى مختلفون ، فمنهم من يجتهد أن يكون مقدماً بجده وجهده في العبادة والخدمة ، ولا يرضى بالتخلف عن السابقين من إخوانه وأنشدوا :

السباق السابق قولاً وفعلاً حذروا النفس حسرة المسبوق

واعلم أن الله تعالى قدم قوماً في سابق حكمه ، فربما يجرى عليهم في الظاهر أوصاف المطردين (ويتهمهم)^(١) مقام المبعدين ، وهم من أهل رحمته بالحكم السابق .

وقيل كان ببغداد رجل صالح أذن خمساً وعشرين سنة ، دخل يوماً من أيام شهر رمضان دار أخيه بعدما أذن الظهر فرآهم يشربون الخمر ، فحلف أخوه بالطلاق ليشربن هو أيضاً معهم قدحاً واحداً ، فشرب لثلاً تطلق امرأة أخيه ، ثم أستدرجه الخمر فشرب ثانياً وثالثاً حتى سكر ، فطلبوه لإقامة الصلاة ، فحلف ألا يصل أبداً ومات في سكره ذلك ، فكان ممن أخره الله تعالى في سابق حكمه ، فلم ينفعه طول جهده وعناؤه ، نسأل الله تعالى حسن العاقبة بحسن توفيقه .

(١) هكذا في م. ومشتبهة في س .

فصل

في معنى «الأول» و «الآخر» و «الظاهر» و «الباطن»

أول وزنه أفعل ، من آل يؤول مثل أعوذ من عاد يعوذ ، فأدسله
أو آل قلبت الهمزة الثانية واوا فاجتمع واوان فأدغمت إحداهما في الأخرى
فصار أول ، وتأتيه أولى كأكبر وكبرى ، وآخر بفتح الخاء تأتيه أخرى .

وَأَوَّلُ في وصفه بمعنى القديم الأزلي الذي لا ابتداء له ، والآخر
في وصفه بمعنى أنه لا انتهاء له ، ولا انقضاء لوجوده .

والظاهر في وصفه سبحانه بمعنى القاهر لخلقه ، من قولهم ظهر
فلان على فلان أى قدر عليه وقهره .

والباطن في وصفه عز وجل بمعنى العليم بخلقه ، المدبر لأحوالهم .
وقيل معناه الظاهر للعقول السليمة بآياته وبراهينه ، ودلائل توحيده ،
والباطن المتعزز على قوم ، المحتجب عنهم حتى أنكروا وجوده وجحدوه .

وقيل إن هذه الأسماء إشارة إلى صفات أفعاله ، فهو الأول
بإحسانه ، والآخر بغفرانه ، والظاهر بنعمته ، والباطن برحمته .

وقيل الأول بحسن تعريفنا إياه إذ لولا توفيقه وهدايته أولا
لما عرفناه ، وقيل هو الأول بالهداية ، والآخر بالرعاية ، والظاهر بالكفاية،
والباطن بالعناية .

وقيل الأول بالإسعاد والآخر بالإمداد والظاهر بالإمجاد والباطن
بالإرشاد .

فصل

في معنى « البر »

البر من أسمائه ورد به الكتاب في قوله تعالى :

« إنه هو البر الرحيم » *

والبر هو المحسن ، وفلان بار بأبويه إذا كان محسناً إليهما ، والبر من الخلق من تتوالى منه أعمال البر ، ومن كان الله تعالى باراً به عصم عن المخالفات نفسه ، وأدام بفنون اللطائف أنسه • ووفر في طريقه اجتهاده ، وجعل التوفيق زاده ، وجعل قصده سداده ، ومنبع سلوكه ^(١) إرشاده • وأغناه عن أشكاله ^(٢) بأفضاله ، وحماه عن مخالفته بيمين إقباله ^(٣) • فهو غنى بلا مال ، وعزيز بلا أشكال • ملك لا يستظهر بجيش وعدد ، وغنى لا يتمول بعدد •

ومن آداب من عرف أنه البر أن يكون باراً بكل أحد لا سيما بوالديه لقوله عليه السلام : «رضا الرب في رضا الوالدين ، وسخطه في سخطهما» •

وحكى أن موسى عليه السلام لما كلمه ربه رأى رجلاً قائماً عند ساق انعرش فتعجب من علو مكانه ، فقال : يارب بم بلغ هذا العبد هذا المحل ؟

فقال : إنه كان لا يحسد عبداً من عبادى على ما أتيت به ، وكان باراً بوالديه • وقيل إن الحسن بن على رضى الله عنه كان لا يأكل مع أمه رضى الله عنها فقالت له في ذلك ، فقال : أخشى أن يقع بصرك على شيء

(١) ناقصة في م •

(٢) أشكاله يقصد بها القشيري هنا وفيما بعد ذلك بقليل أمثاله من الخلق •

(٣) في م جاءت (أقواله) ولا يستقيم المعنى بها •

من الطعام فأسبقك إليه ولا أعلم وأكون عاقاً ، فتأملت له : كل معى يا بنى وأنت فى حل من هذا •

واعلم أن بر التلامذة للشيخ والأستاذين يجب أن يكون أكثر من برهم لوأنديهم ، فإن الوالدين يحفظانه عن آفات الدنيا والشيخ يحفظه عن آفات الآخرة ، والأب يربيه بنعمته ، والشيخ يربيه بهمة •

فصل

في معنى « الثواب »

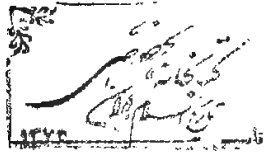
من أسمائه سبحانه ، ورد في الكتاب في مواضع كثيرة منها قوله :

• « واستغفره إنه كان توباً »

والتوبة الرجوع من تاب ، وتاب وأناب وآب كلها بمعنى واحد^(١) .
ومعنى وصفه سبحانه بالتواب أنه يتوب على عبده أى يعود عليه بالطفاه ،
ويوفقه وييسرها له ، وقيل معناه قبول التوبة منه ، وقيل : خلقه التوبة له
كما قال تعالى :

• « ثم تاب عليهم ليتوبوا »

فعلم أنه ما لم يتب على العبد لا يتوب العبد ، فابتداء التوبة من
الله تعالى بالخلق ، وتمامها عليه بالقول •



(١) في رسالة القشيري تفرقة بين هذه الثلاثة فالتوبة بداية والأوبة
نهاية والإنابة واسطتهما ، فمن تاب لخوف العقوبة فهو صاحب توبة ومن تاب
طمعاً في الثواب فهو صاحب إنابة ومن تاب مراعاة للأمر لا خوفاً ولا طمعاً
فهو صاحب إنابة ص ٥٠ .

فصل

في معنى « المنتقم »

الانتقام افتعال من النعمة ، وهو غاية الكراهية للشيء ، وغاية العقوبة عليه أيضاً •

قال الله تعالى :

« وما نقموا منهم » •

أى وما كرهوا ، « هل تنتقمون منا » أى تكرهون ، فانتقام الله تعالى عقوبته للعصاة على ما كره منهم ، والكراهة فى وصفه سبحانه بمعنى ذم الفاعل والحكم عليه بالعقوبة ، لا بمعنى نفرة النفس ولحوق المشقة كما هو فى وصف العباد • والله تعالى يغضب فى حق خلقه بما لا بغضب فى حق نفسه ، فينتقم لعباده بما لا ينتقم لنفسه فى خاص حقه •

عن أبى الدرداء رضى الله عنه قال : إن العبد يكون له وقت طيب ، فيأمر الله تعالى جبرائيل أن يرفع ذلك عن قلبه اختباراً وامتحاناً ، فإن ضج وقلق رده إليه وزاده ، وإن لم يهتم لذلك لم يرده إليه وتكون بذلك نقمته • وقد يستجير العبد بربه عقيب زلته بلا فصل فتدركه^(١) الرجفة قبل حلول الانتقام فيؤوبه الله تعالى إلى كنف ستره ، ويعجل له المغفرة بلطيف بره •

(١) فى « مقدادركه » •

فصل

في معنى « العفو »

مبذلة من العافي • والعفو له معنيان : أحدهما الفضل ومنه قوله تعالى :

« وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ » •

يعنى ما فضل من أموالهم •

وقوله تعالى :

« هَتَىٰ عَفْوًا » •

أى كثروا •

ويقال : عفا مال فلان أى كثر ، فالعفو على هذا هو الذى يعطى الكثير ، ويهب الجزيل •

والعافي الذى يمحو وزيل ومنه قولهم : عفت الرياح الآثار إذا محتها وأزالتها ، فالعفو على هذا الماحى لآثار الذنوب ، والمزيل لها بريح^(١) المغفرة كما قال تعالى :

« يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ » •

قيل : يمحو الذنوب من ديوان الحفظة على أن ينسيها قلوبهم ، وقلوب الذنبيين أيضاً • قيل إن رجلاً من الصالحين قال يوماً : والله لا يغفر الله لفلان ، فأوحى الله تعالى إلى نبي ذلك الزمان أن قل لفلان قد غفرت لك وأحببت عملك ذلك الحالف •

ومن عرف أنه سبحانه عفو طلب عفوه ، ومن طلب عفوه تجاوز عن

(١) مشتبهة فى • •

• خلقه ، فإن الله تعالى بذلك أدبهم •

فقال جل جلاله :

• « وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم » •

واعلم أن الكريم إذا عفا حفظ قلب المسيء عن الاستيحاش ووجهه
عن الخجل ، فلا يذكره سوء فعله (كأنما الصفح قد نزع ذنبه والفضل
قد كساه ثوبه) (٢) •

(٢) العبارة غير واضحة في (س) •

فصل

في معنى « الرءوف »

الرأفة شدة الرحمة ، كذا الرأفة (بالمد) الرحمة • وفي الحقيقة
إرادة النعمة وتسمى الرحمة نعمة مجازاً ، فرحمة الله لعباده إرادته
الإحسان إليهم من غير علة ، فالله أرحم بعباده من كل أحد ، ورحمته في
الدنيا عامة للمؤمنين والكافرين ، وحى في الآخرة خاصة بالمؤمنين •
روى أن النبي ﷺ كان في بعض الأسفار فمر بامرأة تخبز ومعهها صبي
لها فقالت : يا رسول الله بلغنى أنك قلت إن الله سبحانه وتعالى أرحم
بعباده من الوالدة بولدها • • أفهو كما قيل لى ؟ قال النبي : نعم •

قالت : فإن الأم لا تلقى ولدها في هذا التنور •

فبكى رسول الله ﷺ وقال : إن الله تعالى لا يعذب بالنار
إلا من ^(١) أنف أن يقول : لا إله إلا الله •

ومن رحمته بعباده أن يصونهم عن موجبات عقوبته ، وإن عصمته
عن الزلة أبلغ في باب الرحمة من غفرانه المعصية ، وربما رحم عبداً
بما يكون في الظاهر مشقة وشدة ولكنه في الباطن نعمة ورحمة والعبد
لا يعلم ، فكم من عبد يرثى ^(٢) له الخلق لما به من الضر والفاقة وسوء
الحال وهو في الحقيقة في نعمة تغبطه ^(٣) عليها الملائكة • وقيل إن نبياً
نسكا إلى الله تعالى الجوع والعري والقمل فأوحى الله تعالى إليه :
أما تعرف ما فعلت بك ؟ سددت عنك أبواب الشرك •

(١) ساقطة في م ومثبتة في س •

(٢) في م وردت (يرحمه) •

(٣) في م وردت (تغبطها) والأصح (نغبطه) •

ومن رحمته بعبده أن يصونه عن ملاحظة الأغيار فلا يرفع حوائجه
إلا إليه • قيل لبعضهم: سل حاجتك فقال : من وضع قدمه على بساط
المعرفة لا يحسن به أن يكون لغير الله عليه منة •

وقال رجل لبعض الصالحين ألك حاجة ؟

فقال : لا حاجة بي إلى من لا يعلم حاجتى !

فصل

في معنى «مالك الملك ذو الجلال والإكرام»

قد سبق معنى الجلال في اسم الجليل وأنه بمعنى استحقاقه للرفعة وصفات العلو .

ومن عرف جلاله تذلل وتواضع له ، جاء في بعض الروايات أن الله ملائكة منذ خلقهم لا يفترون عن البكاء ، ولا تقطر من دموعهم قطرة إلا خلق الله تعالى منها ملكاً ، ولا يرفعون رؤوسهم إلى يوم القيامة ، ويقولون : سبحانك ما عبدناك حق عبادتك .

وقيل إن من حملة العرش ملائكة صورتهم كصورة العجل ، فمنذ عبد بنو إسرائيل العجل وضعوا أيديهم على وجوههم حياء من الله تعالى . قال ابن الجلاء^(١) كنت راكباً جملاً في وقت ، فقلت جل الله . فقال : الجمل بلسان فصيح : جل الله !

وليس جلال الله سبحانه بأنصار وأعوان ، وسبب من الأسباب بل جلاله كونه بالوصف الذي تلحق به الرفعة والعزة وصفات العلو .

والإكرام قريب من معنى الإناعام إلا أنه أخص منه ، لأنه ينعم على من لا يكرمه ، ولا يكرم إلا من ينعم عليه . وإكرام الله عز وجل لعبده يكون معجلاً في الدنيا ومؤجلاً في الآخرة ، وعلى ما فيه من التقصير فإن الحق ينعم عليه وهو يشكو غيره ، ويرزقه وهو يخدم غيره ويسأل غيره .

(١) هو أبو عبد الله بن الجلاء واسمه أحمد بن يحيى أصله من بغداد ، وأقام بالرملة ودمشق وكان من جلة مشايخ الشام ، صاحب النخشي وذا النون وكان استاذ محمد بن داود الدقي . يقول اسماعيل بن نجيد (كان يقال : ان في الدنيا ثلاثة من أئمة الصوفية لا رابع لهم : الجنيد ببغداد وأبو عثمان بنيسابور وابن الجلاء بالشام) (طبقات السلمي)

فصل

في معنى « المقسط الجامع »

المقسط العادل يقال أقسط إذا عدل ، وقسط إذا جاز .

ومعنى العادل في وصفه سبحانه وتعالى أن أفعاله كلها حسنة .

والجامع في وصفه سبحانه وتعالى بمعنى الحاشر للخلق والناشر لهم يوم القيامة للثواب والعقاب ، فيجمع يومئذ لحومهم المتفرقة ، وجلودهم المتمزقة وعظامهم النخرة . وهو الجامع بين الأشكال والأهوال ، وبين المختلفات والأضداد ، من الجماد والنبات والحيوان ، في صورها وألوانها وطعومها وروائحها ، ومنافعها ومضارها ، وأفعالها وأخلاقها بحيث لا يأتي التفصيل على أحادها في مدى الأعمار ... تبارك الله أحسن الخالقين .

في خبر مسند أن الوحوش أو البهائم إذا حشرت يوم القيامة سجدت لله تعالى سجدة فتقول لها الملائكة : ليس هذا يوم السجود ، هذا يوم الثواب والعقاب ، وإنما حشركم لتشهدوا فضائح بنى آدم . فتقول البهائم والوحوش : هذا منا سجود شكر حيث لم يجعلنا الله تعالى من بنى آدم .

وقيل لو أن رجلا له ثواب سبعين نبياً وله خصم بدائق لا يدخل الجنة حتى يرضى خصمه . وقيل يؤخذ بدائق فضة سبعمائة صلاة مقبولة فتعطى لخصمه . وقيل كما يرجو الظالم رحمة الله تعالى فالظالم يرجوها فإذا اقتصر له من الظالم فذلك برحمة منه ، ولو لم يقتصر له منه لكان قد رحم الظالم ولو لم يرحم المظلوم ، والحكيم العادل منزّه عن ذلك .

وهو الجامع قلوب أوليائه إلى شهود تقديره ليتخلصوا عن أسباب التفرقة ، فيطيب عيشهم لأنهم لا يرون الوسائط ، ولا ينظرون إلى أحداثات إلا بعين التقدير ، إن كانت نعمة علموا أن الله تعالى معطيها ، وإن كانت بلية علموا أنه كاشفها .

فصل

في معنى « الغنى المبنى »

المبنى معطى الغنى لعباده ، ويكون بمعنى معطى الكفاية أيضاً ، والله تعالى مغب عبادهم عن بعض لأن الحوائج — على الحقيقة — لا تكون إلا إليه ، فالخلق لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضرراً • فكيف يملك ذلك لغيره ؟ ولهذا قيل : تعلق الخلق بالخلق تعلق المسجون بالمسجون • وقيل : من رفع حاجته إلى الله تعالى ثم رجع عن حاجته إليه إلى غيره^(١) ابتلاه بالحاجة إلى الخلق ثم نزع رحمته من قلوبهم ، ومن شهد افتقاره إلى الله تعالى فرجع إليه عند حاجته ، أغناه من حيث لم يحتسب ، وأعطاه من حيث لم يرتقب •

وإغناء الله تعالى عباده على قسمين : فمنهم من يغنيه بتتمية أمواله وهم العوام — وهو غنى مجازى ، ومنهم من يغنيه بتصفية أحواله وهم الخواص — وهو الغنى الحقيقى ، لأن احتياج الخلق إلى همة صاحب الحال أكثر من احتياجهم إلى لقمة صاحب المال •

(١) في • (ثم رجع عند حاجته) •

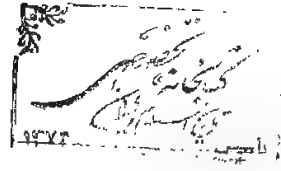
فصل

في معنى « المانع »

المانع في وصفه سبحانه بمعنى منع البلاء عن أوليائه ، أو منع العطاء
عمن شاء مطلقاً ، فإذا منع البلاء عن أوليائه كان ذلك لطفاً جميلاً ، وإذا
منع العطاء عنهم كان ذلك فضلاً جزيلاً •

حكى أن موسى عليه السلام قال : إلهي إني جائع ، فأوحى الله تعالى
إليه إني عالم •

والله سبحانه يعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب ، ولكنه لا يحمي
قلب عبد عن المخالفات إلا وهو من خواص أوليائه •



فصل

في معنى « الضار النافع »

اسمان من أسمائه سبحانه وفي معناه إشارة إلى التوحيد ، وهو أنه لا يصيب عبداً ضر ولا نفع ، ولا خير ولا شر إلا بمشيئته وإرادته ، وقضائه وقدرته • فمن استسلم لحكمه عاش في راحة ، ومن أباه وقع في كل آفة •

قيل : إن أول ما كتب الله عز وجل في اللوح المحفوظ :

« أنا الله الذي لا إله إلا أنا ، من لم يستسلم لقضائي ، ولم يصبر على بلائي ، ولم يشكر على نعمائي ، فليطلب ريا سواي » •

وقيل : من لم يرض بالقضاء فليس لحقه دواء •

ومن عرف تفرد مولاه بالإيجاد ، وتوحدته في الاختراع فوض أموره إليه ، فعاش في راحة ، والخلق في راحة ، وبذل النصيح لكل واحد ، ولم يجد في قلبه غشاً ولا خيانة لغيره •

ولا يرحم العبد عبداً إلا إذا رحمه الله تعالى •

قال تعالى لنبيه عليه السلام :

« فيما رحمة من الله أننت لهم » •

وقال النبي ﷺ : « الراحمون يرحمهم الرحمن » •

وسرق للحسن إزار فجلس يبكي ، فتبيل له في ذلك فقال :

إنما أبكى لأن مسلماً ستلحقه غداً عقوبة من أجلى ، ثم قال :

اللهم اغفر له •

فصل

في معنى « النور »

النور من أسمائه سبحانه ورد به الكتاب في قوله تعالى :

« الله نور السموات والأرض » •

قيل معناه : منورهما ، وقيل الهادي لأهلها ، وقيل سمي نوراً لأن منه النور ، والعرب تسمى من منه الشيء باسم ذلك الشيء ، فإذا كان بمعنى المنور فهو منور الآفاق بالنجوم والأنوار ، ومنور الأبدان بآثار العبادات ، ومنور القلوب بالدلائل والحجج ، فإلطاعة زينة النفوس والأشباح ، والمعارف زينة القلوب والأرواح • والله عز وجل يزيد قلب المؤمن نوراً على نور ، يؤيده بنور البرهان ثم يؤيده بنور العرفان ، قال الله تعالى :

« نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء » •

والله جل جلاله يهدي القلوب بنوره إلى محاسن الأخلاق ، ليؤثر العبد الحق ويدع الباطل •

وفي الخبر أن الله تعالى يحب معالي الأخلاق ويكره سفافها ، ومن معالي الأخلاق التحرر عن رق الأشياء ، واستصغار قدر الدنيا ، والجود بها على كل أحد ، فالله تعالى يحب كل جواد سخي •

وقيل إن الله تعالى أوحى إلى موسى عليه السلام : لا تقتل السامري ، فإنه سخي •

وقيل السخاء أن تجود على من لا يعرفك ، والسؤدد أن تنصف من لا ينصفك •

فصل

في معنى « الهادى »

الهداية فى اللغة الإمالة ، ومنه سميت الهدية لأنها تميل قلب المهدى إليه إلى المهدى ، أو لأنها تمال من ملك إلى ملك ، فالهداية إمالة القلب إلى الحق ، وقيل أصل الهداية فى اللغة التقديم ، ومنه سمي العنق هادياً لتقدمه على البدن ، فالهادى فى وصفه جل جلاله بمعنى المقدم لأهل الخير إلى الرتبة التى يستحقها ، والله عز وجل كما يهدى عباده إلى معرفته بحسن التعريف ، يهديهم إلى محاسن الأخلاق ومعالى الأمور بحسن التشريف ..

قال تعالى :

« ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها » •

واعلم أن الهداية إلى حسن الخلق فرع الهداية إلى معرفة الحق لأن الدين شيئان : صدق مع الحق ، وخلق مع الخلق •

وقيل : حسن الخلق احتمال المكروه بحسن الإدارة ، وقيل بسط الوجه ، وكف الأذى • وقيل : لا يبقى للكونين فى قلبك أثر •

وقال رسول الله ﷺ : « طوبى لمن بات حاجباً وأصبح غافياً » ، قالوا : ومن هو يا رسول الله ؟ فقال : من كثر عياله ، وضاق يده ، وحسن خلقه معهم ، يدخل ضاحكاً ، ويخرج ضاحكاً ، أنا منهم وهم منى ، وهم الحاجون الغازون فى سبيل الله •

وقال الفضيل بن عياض^(١) : لأن يصحبني فاجر حسن الخلق أحب إلي من أن يصحبني عابد سييء الخلق •

(١) الفضيل بن عياض خراسانى من مرو وقيل انه ولد بسمرقند ونشأ =

وقال رسول الله ﷺ : « الخلق الحسن طوق من رضوان الله تعالى في عنق صاحبه ، مشدود إلى سلسلة من الرحمة ، والسلسلة مشدودة إلى حلقة في باب الجنة ، حيثما ذهب الخلق الحسن جرت السلسلة إلى نفسها تدخله من ذلك الباب الجنة ، والخلق السوء طوق من سخط الله في عنق صاحبه ، والطوق مشدود إلى سلسلة من عذاب الله ، والسلسلة مشدودة إلى حلقة في باب النار ، حيثما ذهب الخلق السوء جرت السلسلة إلى نفسها لتدخله من ذلك الباب النار .

=بابيورد ومات بمكة سنة ١٨٧ هـ ، ويقال انه كان شاطرا يقطع الطريق بين ابيورد وسرخس وكان سبب توبته ان عشق جارية فبينما يرتقى الجدران اليها سمع تالياً يتلو : « ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله » — فقال يارب قد آن .

فصل

في معنى « البدع »

البدع معناه المبدع ، فعيل بمعنى مفعول ، كألیم ووجیع • وكل من فعل فعلا فهو مبدع ، ومنه سميت البدعة بدعة لأنها قول لم يسبق إليه قائله فالله تعالى مبدع الأشياء لا على مثال تقدم ، ولا من أحد تعلم •

وقول البدیع الذی لا مثل له ، وهذا أيضا صحيح في حق الله عز وجل ، والمبدیء فعيل بمعنى فاعل ، يقال بدأ الله الخلق وأبداهم فهو باديهم ومبدیهم • ومن آداب من عرف هذا الاسم أن يجتنب البدعة ويلزم السنة •

والبدعة كل ما ليس له أصل في الكتاب والسنة وإجماع الأمة • قال أبو عثمان الحیری^(١) : من أمر السنة على نفسه قولاً وفعلاً نطق بالحكمة ، ومن أمر الهوى على نفسه نطق بالبدعة • وقال النبی ﷺ من أحب سنتي فقد أحبني ، ومن أحبني كان معي في الجنة •

وقال سهل بن عبد الله التستري : أصول مذهبنا ثلاثة : الاقتداء بالنبي ﷺ في أفعاله وأخلاقه ، وأكل الحلال ، وإخلاص النية في جميع الأحوال •

وقوله تعالى :

« ويعلمهم الكتاب والحكمة » •

جاء في التفسير أن الحكمة السنة • قال بعضهم : رأيت رسول الله

(١) أبو عثمان الحیری أصله من الري ورد نيسابور مع شاه الكرماني والتقى بابي حفص الحداد وتخرج به ، مات سنة ٢٩٨ هـ ، ويعد الحیری من شيوخ الملامية الكبار ، ومن أقواله : لا يستوى إيمان الرجل حتى يستوى في قلبه أربعة أشياء المنع والاعطاء والعز والذل — منذ أربعين سنة ما أقامني الله تعالى في حال فكرهته ولا نقلني الى غيره فسخطه •

ﷺ في المنام فقلت : يا رسول الله إشفع لى فقال : قد شفعت لك ، فقلت متى ؟

فقال : اليوم الذى أحييت فيه سنة من سنتى قد أميتت •

قال ابن عباس رضى الله عنه : ما يأتى على الناس عام إلا أحدثوا فيه بدعة ، وأماتوا فيه سنة حتى تحيا البدعة وتموت السنة •

وقال النبى ﷺ : من مشى إلى صاحب بدعة ليوقره فقد أعان على هدم الإسلام •

وأوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام : لا تجالس أهل الأهواء فيحدثوا في قلبك ما لم يكن •

وقال سهل بن عبد الله : من داهن مبتدعاً سلبه الله حلاوة السنن ، ومن ضحك إلى مبتدع نزع الله نور الإيمان من قلبه •

وقال أبو على الدقاق : من استهان بأدب من آداب الإسلام عوقب بحرمان السنة ومن ترك السنة عوقب بحرمان الفريضة •

واعلم أن بركة اتباع السنة توصل العبد إلى حقائق القربة ، وخصائص الزلفة •

قال تعالى :

« قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله » •

فصل

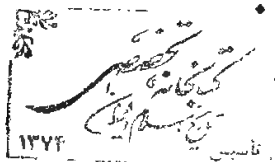
في معنى « الباقي الوارث »

الباقي من أسمائه سبحانه وتعالى ، وحقيقته من له البقاء ، والبقاء
صفة من صفات ذاته •

ومما يجب أن تشتد العناية بمعرفته أن المخلوق لا يجوز أن يكون
متصفاً بصفات ذات الحق ، فلا يكون عالماً بعلم الحق ، ولا قادراً بقدرته
ولا سمياً بصيراً بسمعه وبصره ، ولا حياً بحياته ، ولا باقياً ببقائه لأن
الصفة القديمة لا يجوز قيامها بالذات الحادثة ، كما لا يجوز قيام الصفة
الحادثة بالذات القديمة ، وحفظ هذا الباب أصل التوحيد •

ومن زعم خلاف هذا فقد خرج عن الدين ، وانسلخ عن الإسلام ،
وكانت بدعته أشنع من قول النصارى إن الكلمة القديمة^(١) اتحدت بذات
عيسى • هذه البدعة قول الحلولية الذين جوزوا على ذات الحق الحلول
في الأشخاص المحدثه ، وربما تعلقوا في نصره مقاتلهم الشنيعة بقوله في
الخبر المشهور « •• فإذا أحببته كنت له سمعاً وبصراً فبى يسمع وبى
يبصر » ولا حجة لهم فيه لأنه لم يقل إنه يسمع بسمعى ويبصر ببصرى،
بل قال فبى يسمع ••• الخ ومعلوم بالانفاق أن ذاته المقدسة لا تكون
للعبد سمعاً ولا بصراً ، فقد خرج ظاهره عن كونه مراداً بالاتفاق ، فوجب
الرجوع إلى التأويل الصحيح دون الفاسد حتى إن من هؤلاء الجهال من
يقول بأن معرفة العبد ليست بمخلوقة ، وإيمانه ليس بمخلوق ، وروحه
ليست بمخلوقة • وأصل هذه البدعة قول من قال لفظ العبد وقراءة القرآن
غير مخلوقة فلما جوز هذا القائل أن يوجد على لسان المخلوق قرآن قديم
يسمع منه ، زاد عليه أولئك في التدقيق وقالوا : إن العبد يكون باقياً
ببقائه سبحانه •

والوارث الباقي بعد فناء الخلق •



(١) مشتبهة في • •

فصل

في معنى « الرشيد »

معناه المرشد ، فعيل بمعنى مفعول ، وإرشاده لعبده هدايته قلبه إلى معرفته ، وهو الإرث الأكبر الذي خص به أوليائه ، ويعد إرشاده عباده إلى اختيار طريق طاعته ، والتوقى بها عن مخالفته ، ثم إرشادهم إلى ما فيه صلاح حالهم من أسباب معاشهم •

قال الله تعالى :

« ونفس وما سواها فالهमा فجورها وتقواها » •

وعلمة إرشاده الحق إلى إصلاح نفسه أن يحسن التوكل عليه ، ويفوض أموره بالكلية عليه ، وأن يستخيره في كل شغل ، ويستجير به في كل خطب ، كما أخبر عن موسى عليه السلام •

بقوله تعالى :

« ولما توجه تلقاء مدين قال عسى ربى أن يهدينى سواء السبيل » •

هكذا ينبغي للعبد إذا أصبح أن يتوكل على ربه ، فلا يستقبله شغل إلا فزع فيه إلى الله تعالى ، وانتظر ما يرد على قلبه من الإشارة ، فيقضى أشغاله ، ويكفيه جميع أموره ، فإن رجع عن هذا بعد ما أرشده الله تعالى إليه عاتبه ، ليعلم أنه وجد فيه سوء أدب ، فيرجع عنه إلى سكونه وترك اختياره واحتياله • فالله تعالى أرشد نفوس الزاهدين إلى طريق طاعته ، وقلوب العارفين إلى سبيل معرفته ، وأرواح الواصلين إلى حقيقة محبته ، وأسرار الموحدين إلى تطلع قربته ^(١) •

(١) من هذا النص نتعرف إلى رأى القشيري في مراتب أهل الحق : زاهد ثم عارف ثم واجد ثم موحد ، ونتعرف إلى ملكاتهم الباطنية نفس ثم قلب روح ثم سر ونتعرف إلى غاياتهم في كل مرحلة من مراحل معراجهم الروحي طاعة ثم معرفة ثم محبة ثم قرب •

فصل

في معنى « الصبور »

الصبور في وصفه سبحانه بمعنى الحليم ، وأصل الصبر في اللغة الحبس ، ومنه « شهر الصوم شهر الصبر » لأن فيه حبس النفس عن الشهوات ، والصابر عن الشيء والصابر على الشيء كلاهما حابس نفسه عما يصبر عنه وعليه •

وفي وصف الله عز وجل بالصبر لا يقبح معنى حبس النفس ، (وإنما) يكون بمعنى تأخير العقوبة بالحلم •

والصبر في حق العباد على ثلاثة أقسام^(١) ، أولها التصبر وهو تكلف الصبر ومقاساة الشدة ، ثم الصبر وهو سهولة تحمل ما يستقبله من فنون القضاء وصروف البلاء ، ثم بعده الاصطبار وهو النهاية في الباب ، ويكون ذلك بأن يَأْلَف الصبر فلا يحتمل مشقة ، بل يجد روحاً وراحة كما قيل :

تعودت مس الصبر حتى ألفتَه وأسلمنى حسن العزاء إلى الصبر

وقيل أيضاً :

صابر الصبر فاستغاث به الصبر فصاح المحب بالصبر صبرا

قيل : ليس الصبر ألا تذكر البلاء نفخاً ونطقاً بل هو ألا تعترض بقلبك على قضائه وقدره ، وإن ذكرت حالك له ، ورغعت قصتك إليه بلفظ لك • وقيل ذلك أن أيوب عليه السلام قال :

« إني مسني الشيطان بنصب وعذاب » •

(١) لاحظ هنا الارتباط بين صنيع القشيري في الاشتقاق من الناحية اللغوية وبين المرادات الصوفية .

وقال : « إني مسنى الضر » ، ومع هذا كله لما كان راضياً بقلبه ،
غير مغير ظنه •

قال الله تعالى في حقه :

« إنا وجدناه صابراً » •

وقال جماعة شرط الصبر ألا تتنفس بخلاف الإذن تحت جريان حكمه
وقال قائلهم :

إن كنت لسقم أهلاً وكنت لشكر أهلاً
عذاب فلم يبق قلب يقول للسقم مهلاً

وقيل حقيقة الصبر تجرع البلاء من غير تعبيس^(٢) •

وقيل إن أيوب عليه السلام أوحى الله تعالى إليه يوماً من الأيام :
يا أيوب شكوتنى ! ؟ فقال : إلهى ••• إلى من ولم يسمع أنينى ؟ •

فقال : شكوتنى إلى أعدى عدولى وهو نفسك •

وقيل ينبغى أن يكون الصابر فى حكم الله عز وجل كالميت بين يد
الغاسل يقلبه كيف يشاء •

وقيل الفرق بين الحليم والصبور فى وصف الخلق أن الحكيم من
يتجاوز عن غيره بلا تكلف ولا مقاساة مشقة • والصبور هو الذى يراود
نفسه عن أخلاقها ويتحمل كرهاها •

(٢) هذه الأبيات انشدها أبو الحسين النورى أمام الجنيد •

(طبقات السلمى ترجمة النورى) •

(٣) فى م (تعبيس) والسياق يؤيد « تعبيس » وقد ورد النص بها فى
رسالة القشيري ضمن نص للجنيد يبدأ هكذا (المسير من الدنيا الى الآخرة
سهل حين والصبر مع الله عز وجل أشد فسل عن الصبر فقال
تجرع المرارة من غير تعبيس) الرسالة ص ٩٢ •

حكى عن الأحنف بن قيس أنه كان يقول أنا صبور ،ولست بحليم
مع أنه كان يضرب به المثل في الحلم • وحكى عنه أن كان يجيء من موضع
وإنسان يتبعه ، ويتسافه عليه ، وهو يصبر ، فلما قارب محلته وقف وقال
لذلك الرجل :

إن بقى في قلبك شيء فقله ، فإننى أكره أن يسمعك شبان قومى
فيقابلونك بما تكره •

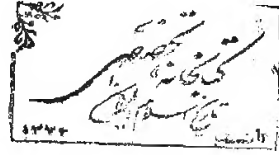
والصبر الواجب على العبد هو الصبر على ما أمر الله تعالى به من
الطاعات ، والصبر عما نهى عنه من المحارم ، والسكون تحت ما يجرى
من قضائه وقدره •

وفقنا الله تعالى لذلك وأدخلنا الجنة من فضله وكرمه ،

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرا •

فهرست الكتاب

الموضوع	الصفحة
تقديم	٥
رب يسر	٢٦
« فصل » في معنى اسم (الله)	٣٠
« فصل » في معنى (لا اله الا الله)	٣٥
« فصل » في معنى اسمه (هو)	٣٦
« فصل » في معنى اسم (الملك)	٣٨
« فصل » في معنى اسمه (القدوس)	٤١
« فصل » في معنى اسمه (السلام)	٤٢
« فصل » في معنى اسمه (المؤمن)	٤٤
« فصل » في معنى اسمه (المهيمن)	٤٦
« فصل » في معنى اسمه (العزيز)	٤٧
« فصل » في معنى اسمه (الجبار)	٤٩
« فصل » في معنى اسمه (المتكبر)	٥١
« فصل » في معنى اسمه (الخالق)	٥٢
« فصل » في معنى اسمه (الباريء)	٥٤
« فصل » في معنى اسمه (المصور)	٥٥
« فصل » في معنى اسمه (الغفار)	٥٨
« فصل » في معنى اسمه (القهار)	٦١
« فصل » في معنى اسمه (الوهاب)	٦٢
« فصل » في معنى اسمه (الرزاق)	٦٤



- « فصل » في معنى اسمه (الفتح) ٦٥
- « فصل » في معنى اسمه (العليم) ٦٧
- « فصل » في معنى اسمه (القابض الباسط) ٧٠
- « فصل » في معنى اسمه (الخافض الرافع) ٧٢
- « فصل » في معنى اسمه (المعز المذل) ٧٤
- « فصل » في معنى اسمه (السميع البصير) ٧٦
- « فصل » في معنى اسمه (الحكم العدل) ٧٨
- « فصل » في معنى اسمه (اللطيف) ٨١
- « فصل » في معنى اسمه (الخير) ٨٤
- « فصل » في معنى اسمه (الحليم) ٨٥
- « فصل » في معنى اسمه (العظيم) ٨٦
- « فصل » في معنى اسمه (الفقور والشكور) ٨٨
- « فصل » في معنى اسمه (العلى الكبير) ٩٠
- « فصل » في معنى اسمه (الحفيظ) ٩١
- « فصل » في معنى اسمه (المقيت والمقتدر) ٩٣
- « فصل » في معنى اسمه (الحسيب الكافي) ٩٤
- « فصل » في معنى اسمه (الجليل الجميل) ٩٥
- « فصل » في معنى اسمه (الكريم) ٩٦
- « فصل » في معنى اسمه (الرقيب الحفيظ) ٩٨
- « فصل » في معنى اسمه (المجيب) ٩٩
- « فصل » في معنى اسمه (الواسع) ١٠٠
- « فصل » في معنى اسمه (الحكيم) ١٠٢
- « فصل » في معنى اسمه (المجيد) ١٠٣

الموضوع	الصفحة
« فصل » في معنى اسمه (الباعث)	١٠٥
« فصل » في معنى اسمه (الشهيد)	١٠٦
« فصل » في معنى اسمه (الحق)	١٠٨
« فصل » في معنى اسمه (الوكيل)	١٠٩
« فصل » في معنى اسمه (القوى)	١١٠
« فصل » في معنى اسمه (المتين)	١١١
« فصل » في معنى اسمه (الولي)	١١٢
« فصل » في معنى اسمه (الحميد)	١١٥
« فصل » في معنى اسمه (المحصى)	١١٦
« فصل » في معنى اسمه (المبدى) و (المعيد)	١١٧
« فصل » في معنى اسمه (المحيى الميت)	١١٩
« فصل » في معنى اسمه (الحى القيوم)	١٢٠
« فصل » في معنى اسمه (الواجد الماجد)	١٢١
« فصل » في معنى اسمه (الواحد الأحد)	١٢٣
« فصل » في معنى اسمه (الصمد)	١٢٥
« فصل » في معنى اسمه (القادر المقتدر)	١٢٧
« فصل » في معنى اسمه (المتقدم المؤخر)	١٢٨
« فصل » في معنى اسمه (الأول) و (الظاهر) و (الآخر) و (الباطن)	١٢٩
« فصل » في معنى اسمه (البر)	١٣٠
« فصل » في معنى اسمه (التواب)	١٣٢
« فصل » في معنى اسمه (المنتقم)	١٣٣
« فصل » في معنى اسمه (العفو)	١٣٤
« فصل » في معنى اسمه (الرعوف)	١٣٦

الموضوع	الصفحة
« فصل » في معنى اسمه (مالك الملك ذو الجلال والاكرام)	١٣٨ .
« فصل » في معنى اسمه (المقسط الجامع)	١٣٩
« فصل » في معنى اسمه (الغنى المغنى)	١٤٠
« فصل » في معنى اسمع (المانع)	١٤١
« فصل » في معنى اسمه (الضار النافع)	١٤٢
« فصل » في معنى اسمه (النور)	١٤٣
« فصل » في معنى اسمه (الهادى)	١٤٤
« فصل » في معنى اسمه (البديع)	١٤٦
« فصل » في معنى اسمه (الباقي الوارث)	١٤٨
« فصل » في معنى اسمه (الرشيد)	١٤٩
« فصل » في معنى اسمه (الصبور)	١٥٠
فهرست الكتاب	١٥٣



رقم الايداع بدار الكتب ١٩٩٣/٧٤٥٨

* الترقيم الدولى 2-028-254-977 I. S. B. N.

